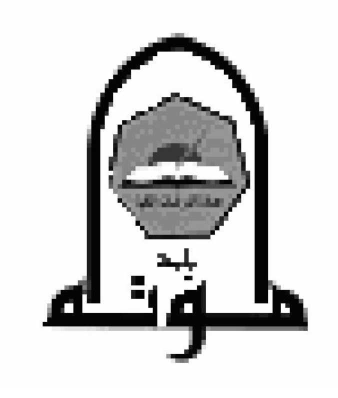


جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الأمن الفكري من منظور القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

إعداد

خلدون سعود سلامة القرالة

إشراف

الدكتور طالب محمد الصرايرة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في أصول الدين/ قسم أصول الدين

جامعة مؤتة/ 2010م

الآراء الواردة في هذه الرسالة الجامعية لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة .

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب خلدون سعود القرالة الموسومة بـــ:

الأمن الفكري من منظور القرآن الكريم – دراسة موضوعية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين.

القسم: أصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
د. طالب محمد الصرايرة		2010/12/29	مشرفاً ورئيسا
أ.د. نايل ممدوح أبو زيد		2010/12/29	عضواً
أ.د. أمين محمد البطوش		2010/12/29	عضواً
أ.د. محمد خازر المجالي		2010/12/29	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. صالح الكساسبة



مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي: 61710
تلفون: 99-03/2372380
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

إلى الوالدة التي ما زالت تجاهد وتكابد في هذه الدنيا لتــؤدي رســالتها على أكمل وجه، أطال الله في عمرها .

إلى زوجتي، وأولادي تسنيم وعبد الرحمن والمقداد.

أهدي هذا العمل المتواضع.

خلدون القراله

الشكر والتقدير :

يقول الله تبارك وتعالى﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر:66).

وامتثالاً لذلك فإني أتقدم بخالص الشكر والعرفان والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور طالب محمد الصرايرة، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، ومنحني من علمه ووقته ودقة ملحوظاته، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما وأتقدم بالشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين تحملوا أعباء قراءة هذه الرسالة وتفضلوا بقبول مناقشتها، الأستاذ الدكتور نايل ممدوح أبو زيد، والأستاذ الدكتور أمين محمد البطوش، والأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي.

والشكر موصول إلى كل أساتذتي وإخواني العاملين في كلية الشريعة، ومسجد الحفيي جامعة مؤتة، وعلى رأسهم عميد كلية الشريعة الأستاذ الدكتور عبد الله مصطفى الفواز، والشكر أيضاً لمن قام بطباعة هذه الرسالة وإخراجها الأخ عودة الخطباء والأخ جودت الخطايبة والأخ حمزة سلامة الدعجة.

والشكر موصول إلى كل من أسهم بتدقيق هذه الرسالة وإخراجها .

فجزاهم الله عني خير الجزاء .

خلدون القراله

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص:

الأمن الفكري من منظور القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

خلدون سعود سلامة القرالة

جامعة مؤتة، 2010م

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية مفهوم الأمن الفكري كمصطلح معاصر، والتعرف على أساليب القرآن الكريم في بناء الأمن الفكري، والمحافظة عليه، والاستفادة من هذه الأساليب القرآنية في الدعوة، والإصلاح، والمجادلة بالتي هي أحسن، وتهدف أيضا إلى رد بعض الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والمسلمين، ومنها اتهام الإسلام بأنه دين العنف والقتل والتدمير والتخلف، والرد على ذلك بأن الإسلام هو دين السلام والرحمة والإحسان والتحضر والحق .

ABSTRACT

The deanship of higher study

Security of thought from the holy quran point of view

Khaldun soud al-garaleh

Mu'tah university

This study aims at clarifying the concept of thought security as a contemporary concept. It aims at realizing the Quranic methods in building thought security and then preserving it. This study sheds light on how to make use of these Quranic methods especially in preaching, correcting and arguing gently. Moreover, it shows how to object and oppose some doubtful matters that have been raised about Islam and Muslims such as accusing Islam of being a religion based on violence, killing, destruction and backwardness. It shows that the best way to deal with such allegations is by showing that Islam is the religion of peace, mercy, perfection, excellence and civilization.

المقدمة:

الحمد لله المنان الذي امتن علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان، ويسره للذكر فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر:17)، وضمن لنا حفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:9)، أحمده سبحانه على هذه النعمة العظيمة وعلى غيرها من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (ابراهيم:34)، وأصلي وأسلم على خير خلق الله أجمعين، سيد الأولين والآخرين، نبراس الهدى ومنارة الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أصلي وأسلم عليك يا سيدي يا رسول الله، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

إن من المسائل التي أرّقت المجتمع في هذا الزمان، وأُزهقت بسببها النفوس والأموال والأوقات، هي مسألة خطيرة، تعود خطورتها إلى آثارها السلبية التي رأهقت المجتمع الإسلامي والعالمي ألا وهي مسألة الفكر المنحرف الذي انحرف عن جادة الصواب وركب متن العناد، فمنهم من أخذته العزة بالإثم، ومنهم من أَغرق بزخارف الدنيا وزينتها فآثر شهوته من مال وسلطان وغيره على دينه، ومنهم من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ومنهم من صرف كل وقته أو جميعه للروحانيات، ونسي أن الإسلام هو دين العزة والقوة والعمل قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:105)، ومنهم معرض عن دين الإسلام ويرى فيه الزهد والرجعية، ومعجب بالغرب ومكتشفاته، ويرى فيه التطور والارتقاء، فإن الإسلام منهم جميعاً لبريء.

إن هؤلاء وأمثالهم نسوا أو تناسوا أن دين الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، لا يطغى فيه جانب على الآخر، وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان، دستور كامل وشامل لكل مناحي الحياة، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الانعام:38)، ومن أعرض عن هذا الكتاب فإن جزاءه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه:123-125).

ولقد جاءت هذه الدراسة الموضوعية في كتاب الله تعالى ، والموسومة بـ" الأمن الفكري من منظور القرآن الكريم دراسة موضوعية "، كمحاولة للتعرف على أساليب القرآن الكريم في وقاية الفكر الإنساني من هذه الانحرافات الجسيمة ، من خلال بناء الفكر الإنساني بناءاً آمناً غير مغرق بالروحانيات، ولا مصروفاً إلى الماديات، وقد حاولت جاهداً بقدر طاقتي والجهد البشري لا يخلو من النقص ، بأن أتعرض من خلال هذه الدراسة أقوال كبار المفسرين وغيرهم في الآيات المختصة بموضوع البحث ، محاولاً استخلاص المعاني التي تتناسب وهذا الموضوع، وتدعيم ذلك من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، ﴿وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(يونس:10).

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال حاجة الأمة الإسلامية إلى أصحاب الفكر الآمن المستنير، الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين بكل ما يملكون من قدرات عقلية نيرة، تؤهلهم للتعامل مع قضايا هذه الأمة والدفاع عنها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .وتبرز أهميتها أيضاً من خلال العمل على إنشاء أجيال آمنة في فكرها تتطلع إلى نهضة الأمة الإسلامية وارتقائها، من خلال التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وترك التعصب والجمود ، وترك الانشغال بالأمور الخلافية التي لاتتفق ومقاصد الشريعة الإسلامية.

مشكلات الدراسة:

1. تحديد مفهوم الأمن الفكري كمصطلح معاصر.
2. ما هي علاقة الأمن الفكري بأنواع الأمن الأخرى؟
3. كيف بنى القرآن الكريم الأمن الفكري ؟
4. كيف حافظ القرآن الكريم على الأمن الفكري ؟

أهداف الدراسة:

1. بيان أهمية الأفكار وأثرها في حياة الأمة الإسلامية سواء أكانت أفكاراً آمنة أم منحرفة.
2. إبراز أهم معالم العفو والتسامح والوسطية في الإسلام.
3. إبراز خطورة التقليد الأعمى واتباع الظن والتعصب وغير ذلك من الأمور التي شوهت صورة الإسلام والمسلمين.
4. محاولة إثراء المكتبة العلمية ببحث مستقل في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود اطلاعي من أفرد هذا الموضوع بهذا العنوان ببحث مستقل ، سوى أطروحة دكتوراه بعنوان "الأمن في رحاب القرآن "، لأبو زيد، وقد كان أحد فصول هذه الأطروحة بعنوان "الأمن الفكري"وقد استفدت من هذه الأطروحة فائدة كبيرة غير أني توسعت في بحثي كدراسة موضوعية مستقلة بهذا العنوان ، كما وأشير إلى بعض المقالات والأبحاث التي تحدثت عن هذا الموضوع على الشابكة (الانترنت)، غير أنها لا تعد من قبيل الدراسات القرآنية.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي ثم التحليلي في تناول قضايا هذا البحث ثم اتخذ عدة خطوات أخرى وهي:

1. التأصيل لموضوع الدراسة من خلال التعرف على المفاهيم المختصة به.
2. الاعتماد على كتب المعاجم اللغوية والتعريفات الاصطلاحية في الوصول إلى التعريف المراد.
3. الاعتماد على الآيات القرآنية كمادة رئيسة في موضوع البحث.
4. تدعيم الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية الشريفة ، ومحاولة اختيار الأحاديث الصحيحة.
5. الربط بين كل مبحث أو مطلب بالموضوع الرئيس.

6.الاعتماد على المصاد ر الرئيسية في التفسير وتقديمها حسب الطبقة، إلا إذا اقتضت طبيعة الموضوع إيراد أقـوال المفـسرين المتـأخرين أو المعاصرين لتناسب أقوالهم مع جوهر الموضوع.

الفصل الأول :

مفهوم الأمن الفكري وأهميته وركائزه وعلاقته بأنواع الأمن.

1.1: مفهوم الأمن الفكري.

1.1.1: المعنى اللغوي.

أولاً:معنى الأمن في اللغة:

الأمن:من فعل أَمِنَ، فالهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق . والأَمَنَةُمن الأمن، والأمان:إعطاء الأمنة[1].وفي لسان العرب :"الأمن:ضد الخوف، ومنه أمن فلانٌ يأمن أمْنا وأَ مَناً والأمانة:ضد الخيانة؛ لأنه يؤمن أذاه، وقد أمنه وأمّنه وأتمنه واتّمنه"، [2]. وفي القاموس المحيط:"الأمن والآمن ضد الخوف ، والأمانة والأَمَنَةُ:ضد الخيانة"[3].

والخلاصة أنّ الأمن في اللغة يعود إلى أصلين:

1. الأمن:ضد الخوف،ومنه قوله تعالى :﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ (قريش:4)أيّ تفضل عليهم بالأمن والرُّخصِ فَليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا وثناً ، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أَمن الدنيا وأَمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه"[4].

2. الأمن:بمعنى الأمانة التي هي ضد الخيانة ومنه قوله تعالى :﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا**﴾ (الأحزاب:72).

---

[1].انظر: ابن فارس،أحمد بن فارس بن زكريا، ت 395، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، ط 1، 1415هـ - 1994م، تحقيق:شهاب الدين أبوعمرو، مادة:أمن، ص88.

[2].ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، ت 711هـ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1413هـ - 1993م، مادة أمن،ج1،ص223.

[3].الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت 817 هـ، القاموس المحيط، دار الفكر (د.ط) 1415هـ - 1995م باب النون فصل الهمزة ص1060.

[4].ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ عماد الدين، أبوالفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت 774هـ، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، ط 1، 1406هـ - 1986م، ج4، ص592.

ثانياً:معنى الفكر في اللغة: "هومن الفعل الثلاثي فكر ، والفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء:يقال:تفكر إذا تردد قلبه معتبراً، ورجل فِكّير:كثير الفكر"[1].

والفِكرُ والتفكُّرُ:واحد، ورجل فِكِّيرٌ:كثير الإقبال على الفكرة، والفِكرى :الفِكرةُ، كالذّكرى والذّكرة والفَكرُ:الحاجة، لا فَكر لي فيه[2].

والفَكْرُ والفِكرُ:إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة :كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكَّر بمعنى ،والتفكّر اسم التّفكير، ومعناه التأمّل والاسم منـــه الفِ كـــرُ والفِكرةُ، والمصدر الفَكر بالفتح[3].

وعليه فإن الأمن الفكري في اللغة يعني "سلامة الفكر الإنساني مـــن الزيـــغ والانحراف في فهم الأمور حال طلبها للوصول إلى حقيقتها والحكم عليها" [4].

2.1.1: المعنى الاصطلاحي للأمن الفكري.

أولاً:الأمن في الاصطلاح :. ويعرف:"بأنه عدم توقـــع مكـــروه فـــي الـــزمن الآتي"[5].

وعرفه الراغب الأصفهاني[6]، فقال:" ويجعل الأمن تارةً اسماً للحالة التي يكـــون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسماً لما يؤمن عليه الإنسان"[7].

---

[1]. ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مادة فكر،ص793.

[2]. انظر:الاصبهاني، أبوالقاسم إسماعيل بن عباد بن العابس بن أحمد، ت385هـ، المحيط في اللغة، تحقيق :محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، ط1، 1414هـ - 1994م، باب (الكاف والراء) فصل (الكاف والراء والفاء)ج6، ص252.

[3]. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فكر، ج10، ص307.

[4]. أبو زيد، نايل ممدوح، الأمن في رحاب القرآن رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 1994م/1995م، ص144.

[5].الجرجاني، التعريفات، السيد الشريف، (740 -816) كتاب التعريفات ، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ص46.

[6].هو:الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الاصبهاني المعروف بالراغب:أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، ت 502 هـ، من كتبه (محاضرات الأدباء) و(تفصيل النشأتين) و (المفردات في غريب القرآن)، انظر:الزركلي الأعلام، ج2، ص255.

[7]. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، ت 502، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت لبنان، مادة أمن، ص25.

ثانياً:الفكر في الاصطلاح:

عرف العلماء الفكر تعريفات عدة غير أنهامتقاربة في المعنى ، ومـــن هـــذه التعريفات:

1. الفكر هو:" حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها إلى المطالب"[1].

2. الفكر ومنه الفكرة وهي قوة مُطرِقَةٌ للعلم إلى المعلوم، والتفكّرُ جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان و لا يقال إلا فيمـــا يمكن أن يحصلله صورة في القلـــب، والله تعـــالى منـــزهٌ أن يوصـــفَ بصورة"[2].

3. "هو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول "[3].

4. "أنّه الخطوات الذهنية التي يتبعها الباحث والعارف في مـــساره بقـــصد تحصيل المعرفة" [4].

5. هو "صفة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيمـــا يعرض له من قضايا العلم والحياة"[5].

وبناءعلى ما تقدم من تعريف الأمن ، والفكر في اللغة وا لاصـــطلاح يتكـــون مفهوم الأمن الفكري كمصطلح مركب وهو " أمنُ الإنسانِعلـــى صـــنعةِ عقلـــهِ وطمأنينتهُعلى نتاجِ مسرحِ نشاطهِ الذهني وعطائه الفكري عنـــد خوضـــه فيمـــا يعرض له من قضايا في العلم والحياة" [6].

ويرى الباحث أن الأمن الفكري هو :العمل من أجل تأمين عنصر الوقاية لدى فكر الإنسان من الأفكار الدخيلة والمنحرفة ، وذلك بصرفه عن الجمود والتخلـــف إلى التفكير السليم المثمر الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

---

[1]. الكفوي،أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، ت 1094 /83 16؛ الكليات، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1413 هـ/ 1993م، فصل الفاء، ص 697.

[2]. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الفاء، مادة فكر، ص 384.

[3]. الجرجاني، التعريفات، ص46.

[4]. الدسوقي، فاروق احمد، حرية الإنسان في الفكر الإسلامي، دار الدعوة، (د، ط)، 1982، ص45.

[5]. الخولي، جمعة، أضواء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار العلم، (د، ط)، ص2.

[6]. أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن ، ص146.

2.1: أهمية الأمن الفكري:

تعود أهمية الأمن الفكري إلى قيمة الأفكار في حياة الأمم فالأفكار عند الأمم هي العناصر المؤثرة في مسيرة أفرادها، وعليه ، فهي أعظم ثروة تنالها في حياتها إن كانت ناشئة، وأعظم هبة يتسلمها الجيل من سلفه إذا كانت الأمة عريقة في الفكر المستنير[1].

وإن الفكر السليم المستنير هو العنصر الرئيس في نهضة الأمة من جميع نواحي الحياة المختلفة.

والتفكير هو القاعدة الرئيسة التي تبنى عليها المشاريع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكل ما يتعلق بنهضة الأمة وارتقائها.

فإذا كانت هذه القاعدة قاعدة منحرفة متعارضة مع الواقع وسنن الكون، فإنها تهوي بالأمة إلى الحضيض و لا تقوم لها قائمة فبدل النهضة والرفعة تجني الأمة التخلف والجمود.

وإذا كانت هذه القاعدة سليمة آمنة مستنيرة، متوافقة مع الفطرة والواقع وسنن الكون، فإنها ترتقي بالأمة إلى أعالي الدرجات.

فمن الجمود والتبعية ،إلى النهضة والقيادة ، ومن التعاسة والشقاء إلى السعادة والرفاه، ولا تكون هذه القاعدة كذلك إلا إذا كانت مستمدة من العقيدة الإسلامية الصافية المنبع التي لا يشوبها شائبة.

"فالعقيدة السليمة هي العلاج الذي استخدمه الإسلام في بناء قاعدة فكرية لدى الإنسان المسلم، ويكوّن على أساسها مفاهيمه، فيميز الفكر الصائب من الفكر الخاطئ حين يقيس هذا الفكر بالعقيدة الإسلامية، ومن هذا يتبين أن العقلية الإسلامية هي التي تفكر على أساس الإسلام بجعله المقياس العام للأفكار عن الحياة، وبجعل الميول كلها على أساس الحلال والحرام تكون النفسية نفسية إسلامية فكل من يفكر على أساس الإسلام ويجعل هواه تبعاً للإسلام يكون

[1]. انظر: الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر رفع إنتاجية الإنسان المصري، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، من 6-9أغسطس/آب 1984م، ط1، 1985م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن.

شخصية إسلامية، والمسلم حيذ ما تتكون لديه العقلية الإسلامية والنفسية الإســـلامية يصبح مؤهلاً لفهم الحياة فهماً صحيحاً "[1].

فمن هذه المعاني تجلّت لنا أهمية الأمن الفكري ودوره الكبير في نهضة الأمة وارتقائها، وتبين لنا أيضاًمدى العلاقة بين الفكر السليم والعقيدة الإســـلامية فهي العقيدة التي تتجاوب مع ا لفطرة الإنسانية ومتطلبات الحياة ، وهـــي المقيـــاس الذي على أساسه يتبنى الإنسان المسلم الأفكار أو يردها، وعلى قدر رسوخ العقيدة في نفس الإنسان المسلم يثمر العقل الفكر الآمن المستنير، ويتجلى هذا المعنى بقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَآمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ (الأنعام:82)، أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الـــدنيا والآخـــرة [2]. يقـــول صـــاحب الظلالفي[3] هذه الآية والتي قبلها وهي قول الله تعالى : ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَـــرِيقَيْنِ أَحَـــقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام:).

إنه "منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود ، إنه إن كـــان أحـــد قمينا [4] بالخوف فليس هو إبراهيم، وليس هو المؤمن الذي يضع يده في يـــد الله ويمضي في الطريق -وكيف يخاف آلهة عاجزة - كائنة ما كانت هـــذه الآلهـــة، والتي تتبدى أحيانفًي صورة جبارين في الأرض بطّاشين، وهم أمـــام قـــدرة الله مهزوزون مضعوفون! كيف يخاف إبراهيم هذه الآلهـــة الزائفـــة العـــاجزة، و لا

---

1. النبهاني، محمد تقي الدين النبهاني، الشخصية الإسلامية، طبعة بيروت، سنة 1964م، ج1، ص8،
2. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص158.
3. هوسيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (9 أكتوبر 1906 - 29 أغسطس 1966) كاتب وأديب ومنظر إسلامي مصري منتمي لحركة الإخوان المسلمين المصرية .ولد في 9 أكتوبر 1906 بقرية موشة وهي إحدى قرى محافظة أسيوط. يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيراً في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، له العديد من المؤلفات والكتابات حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي، ومن أهم مؤلفاته (في ظلال القرآن)، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تريد منه أن يكون متعلمًا مثل أخواله كما كان أبوه عضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا =لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه وفي 30 يوليو 1965، ألقت الشرطة المصرية القبض على شقيق قطب، محمد قطب، وقام قطب، بإرسال رسالة احتجاج للمباحث العامة في تاريخ 9 أغسطس 1965. أدت تلك الرسالة إلى إلقاء القبض على قطبوالكثير من أعضاء جماعة الإ خوان المسلمين وحُكم عليه بالإعدام مع 6 آخرين وتم تنفيذ الحكم في فجر الاثنين 13 جمادى الآخرة 1386 هـ الموافق 29 أغسطس 1966.. المصدر موقع الإسلام.www.islamweb.net..
4. .قميناً:أي حريّاً، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قمن، ج 11، ص 310.

يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطاناً ولا قوة من الأشياء والأحياء؟ وأي الفريقين أحق بالأمن الذي يؤمن به ويكفر بالشركاء؟ أم الذي يشرك بالله ما لا سلطان له و لا قوة؟ أي الفريقين أحق بالأمن، لو كان لهم شيء من العلم والفهم؟!.

هنا يتنزل الجواب من الملأ الأعلى ويقضي بحكمه في هذه القضية ...الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركاء في عبادة ولا طاعة ولا جاه، هؤلاء لهم الأمن وهؤلاء هم المهتدون" [1].

3.1: ركائز الأمن الفكري.

إن الأمن الفكري بحاجة إلى ركائز يتوقف وجوده عليها وإذا فقدت هذه الركائز انعدم الأمن الفكري وتتضح هذه الركائز من خلال المطالب الآتية:

1.3.1: الحفاظ على سلامة العقيدة الإسلامية:

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقاس عليه الفكر الإنساني فيحكم عليه بالصحة أو الانحراف.

ولأن العقيدة الإسلامية هي التي ضبطت الفكر الإنساني من الخروج عن حدود مقدرته على التفكيرفقد نهى الله تعالى عن السؤال الذي يتعلق بالأمور الغيبية الخارجة عنمقدرة التفكير الإنساني ،فقال تعالى :﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾(الإسراء:85).

وفي مقابل ذلك أمر الله تعالى بالنظر والتفكر بما هو واقع تحت الحواس يقول تعالى﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** }(يونس:101).وقال تعالى:﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(آل عمران:191).وقال صلى الله عليه وسلم:(تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله)[2].لأن العقل الإنساني

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط1،ج2، ص1124.

[2]. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر، ت 458هـ شعب الإيمان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1423 هـ / 2003 م،ج1، ص262، عن ابن عمر وقال البيهقي هذا إسناد فيه نظر.

بطبيعتهعاجز عن إدراك حقيقة الذات الإلهية التي تختلف عما تفهمه وتتـصوره من المعاني والتصورات؛ والسبب يرجع إلىعظمة الله تعالى من جهة، ومحدودية المدارك البشرية من جهة أخرى بحيث لا يمكن أنتحيط بالذات ا لعلية علماً، ومن هنا فان إخضاع الذات الإلهية بما لها من صفات إلى التفكيـر البـشري والعقـل الإنساني فيه من المخالفة المنهجية ما فيه، إذ هو لا يحيط بكثير من الأمور المادية فضلا عن نفسه، فكيف يحيط بذات الله تعالى وصفاته، وهذا مـا فهمـه علمـاء السلف، ومنهم الإمام مالك،- رحمه الله - عندما سُئل عن استواء الله تعالى علـى عرشه فقال:الاستواء معلوم والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة[1].

لذلك فإن العلماء الذين خرجوا عن هذه الضوابط التـي وضـعتها العقيـدة الإسلامية وأطلقوا العنان لعقولهم وقعوا في إشكالات ومتاهات لـيس لهـا نهايـة اهخة فيما يتعلق بصفات الله تعالى ومنهم فرق ة المعتزلة **(أهل الكلام)** فصاحب العقيدة السليمة هو صاحب الفكر الآمن.

2.3.1: الحث على طلب العلم المشروع النافع:

إن الأمن الفكري بحاجة إلى طلب العلم لأنه لو ترك للعقل العنان في التفكير، بدون علم وتبصر في أحوال هذا الك ون وما فيه من العجائب، لحـاد عـن جـادة الصواب،ووقع في هوّ ة الجهل والانحرافـوبديهي أن يرافق الدعوة إلى ا لتفكير إقبال على العلم، فالتفكير وطلب العلم، صد نوان لا يفترقان [2]، يقول تعالى:﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾(الإنعام:50) وطلب العلم الذي يعد ركيزة من ركائز الأمن الفكري، هو العلم المشروع الذي يحقق المنفعـة، سـواء أكـان شرعياً أم دنيوياً.

أما العلوم التي نهى الإسلام عنها فإنها لا تعد من ركائز الأمن الفكري بـل هي على العكس من ركائز الانحراف الفكري من مثل علم السحر وغيره.

---

1. انظر: اليهقي، احمد بن الحسين، (ت:458هـ)الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1403هـ، 1983، ص71.

2. انظر: المفتي، محمد مختار، أضواء على الفكر الإسلامي، دار الفردوس ط1، 1992/1412، ص13.

د فقرم الله تعالى السحر، يقول تعالى :﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ (البقرة:102).

ويقول صلى الله عليه وسلم :(**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ.**) [1].
وأما ما يدور على ألسنة بعض الناس من عبارات مثل :"تعلموا السحر ولا تعملوا به" فإنه ليس من كلام رسول الله في شيء.

3.3.1:الثقة بصلاحية الفكر الإسلامي وشموله واستغنائه عن غيره.

إن الفكر الإسلامي صالح لكل زمان ومكان و لا يحتاج إلى غيره لأنه شامل لكل نواحي الحياة ، ويرجع توقّف الفكر الإسلامي عن مواكبة الحياة إلى توقف الحياة الإسلامية نفسها ،وليس ناشئاًعن عجز الفكر أو قصوره ، وهذا الفكر لا يقبل الترقيع كما يفعل بعض الناس الذين يأخذون الاقتصاد من الفكر الماركسي ، أو الرأسمالي، والأخلاق والاجتماع من الفكر الغربي فيضمونه إلى الفكر الإسلامي ظانين بذلك أنهم يقدمون خدمة لهذا الفكر وهم في الحقيقة يخرجونه عن مبادئه ويشوهون صورته ويلحقونه بأفكار فاشلة حكمت على نفسها بالخسران والخيبة[2].

ولكي لا يصاب المسلم بسهام الغزو الفكري الذي غلّفوه بدعوى التحضّر والتطّور ويهدفون من وراء ذلك، إلى التشكيك بصلاحية الفكر الإسلامي لمواكبة العصر فعليه أن يميّز بين نوعين من الفكر:

أولها:المشترك الإنساني العام وهو الذي لا يختص بحضارة بذاتها أو قومية بعينها أو أهل ديانة دون غيرها.

---

1. البخاري، الأمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي 194- 256، الجامع الصحيح المسند المختصر(صحيح البخاري)،دار السلام، الرياض، ط 1، 1417-1997،كتاب الحدود، باب :رمي المحصنات، حديث رقم:6857، ص1439.
2. انظر: المفتي، أضواء على الفكر الإسلامي، ص19.

فكل العلوم التي موضوعها الطبيعة وظواهرها، والمادة وخصائصها، هي من قبيل الفكر الذي هو مشترك إنساني عام ؛ وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي، وقد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها، لكن حقائق علومها أي "فكرها العلمي" سيظل واحداً مهما اختلفت المذاهب والعقائد والحضارات.

فهذا النوع من الفكر دعا الإسلام إليه بل إن الغرب أخذ أصوله من العلماء المسلمين، فالأخذ بهذا النوع من الفكر أمر مطلوب دعا إليه الإسلام ، ولا يفضي الأخذ به إلى الانحراف الفكري.

أما النوع الثاني من الفكر :وهو الذي يدخل فيما يسمى "بالخصوصية الحضارية" فهو ذلك الذ ي تكون "النفس الإنسانية" موضوعاً لعلومه وفنونه وآدابه، فتتميز مكوناتها وطبائعها ومفاتيح عوالمها، بتميز المذاهب والبيئات والفلسفات والمعتقدات، فهذا النوع هو الذي يؤدي إلى الانحراف الفكري ؛ لأن الأخذ به يعد خروجاً وشذوذاً على (الخصوصية الحضارية) بجميع مجالاتها في الاعتقاد والأخلاق والمعاملات مثل الدعوة إلى الحرية الجنسية[1].

4.3.1:وضوح الغاية من التفكير:

فالغاية من التفكير يجب أن تحدد، والغاية من العمل يجب أن تحدد وأن تكون غاية مرئية للبصر أو،مرئية للبصيرة، وأن تكون ممكنة التحقيق عقلاً وفعلاً [2].

فإذا كنت الغاية محددة واضحة، عند ذلك نستطيع أن نعرضها على ميزان الفكر الإسلامي المرتكز على العقيدة الإسلامية، فيحكم على هذا الفكر من خلال غايته فإذا كانت موافقة للعقيدة ومقاصد الشريعة الإسلامية ، فإن التفكير فيها تفكير آمن مستنير يحقق النهضة والارتقاء.

---

[1]. انظر: عمارة، محمد، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ط1، دار الشروق، 1409هـ - 1989م، ص17-20.
[2]. انظر: الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق، ص34.

أما إذا كانت هذه الغاية متعارضة مع العقيدة الإسلامية ، ومقاصد الشريعة فإن التفكير فيها تفكير منحرف ضال، يهوي بالأمة إلى الذل والانحطاط.

5.3.1:الجدية في التفكير : إن التفكير الجاد هو الذي يوصل إلى النتائج الإيجابية، والجديّة في التفكير هي:وجود القصد والسعي لتحقيق هذا القصد، إلى جانب حسن التصور لواقع ما يفكر به.

فالتفكير بدون الجديّة يكون عبثاً أو لهواً ولعباً، أو رتيباً يسير على وتيرة واحدة، بحكم العادة وبحكم التقليد.

فإذا فقدت الجديّة من التفكير ، يصبح هذا التفكير معرّضاً للانحراف والشذوذ لعدم وجود القصد لهذا التفكير[1].

ولأنه صدر من صاحبه وفقا للعادة والتقليد، فإنه بذلك إما أن يكون صائباً أو خاطئاًومن هنا تكون الجديّة في التفكير ركيزة مهمة للفكر الآمن الذي يسهم في نهضة الأمة وارتقائها.

6.3.1:عمق التفكير:

إذا علمنا أن الأمن الفكري هو الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، فإن التفكير في أمور الدنيا هو تفكير سطحي، ربما يحصّل السعادة إذا كان فكرا آمنا، ولكنه لا يحصل السعادة والأمن للإنسان في الحياة الآخرة، إلا إذا كان فكرا آمنا عميقا.

والتفكير العميق:هو عدم الاكتفاء بالإحساس الأوّلي، وعدم الاكتفاء بالمعلومات الأوّلية وعدم الاكتفاء بالربط الأوّلي، فهو الخطوة الثانية بعد التفكير السطحي[2].

ويعرف أيضاً بالتفكير في أمور مهمة وذات قيمة ومعنى ، يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقق النفع لنفسه وللآخرين في الحاضر والمستقبل

---

1. انظر: عاقل فاخر، اعرف نفسك، دار العلم، بيروت، 1964م، ط3، ص158- ص160.
2. انظر: الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق، ص65.

(الإيجابية في التفكير): من شروط التفكير العميق، الذي يحقق الأمــن الفكــري، إخلاص النية لله تعالى عند التفكر [1].

فهناك فرق بين من ينظر ويتفكر بنعم الله على الآخرين ويحسدهم، وبــين من ينظر ويتفكر بنعم الله على الآخرين ويدعو لهم بالبركة والزيادة ويتمنى لنفسه مثل ما لهم.

فالأول لم يخلص النية في تفكيره لله تعالى فيؤدي به تفكيره المنحــرف إلى ما لا يرضي الله تعالى من الوقوع في الإثم، والثاني أخلص النية في تفكيره لله تعالى فحصّل الأجر والثواب، ويقاس هذا المعنى مع الاختلاف في الموضوع على قوله تعالى: ﴿**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام: 81).

ومن ثمرات التفكير العميق، الخلوص إلى النتائج التــي تعــود بــالنفع عليهم، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَــا عَــذَابَ النَّــارِ**﴾ (آل عمران: 190، 191).

فإن تفكّر المؤمنين يمكّنهم من رؤية جانب الإعجاز في الخلق، ويحملهم على تمجيد حكمة الله وعلمه وقدرته[2].

7.3.1: الاستنارة في التفكير:

تعد الاستنارة في التفكير من ركائز الأمن الفكري، لأنه يمكن أن يكــون الإنسان عالماً ومن أصحاب الفكر العميق ،ولكنه معرّض للانحراف الفكــري إذا لم يكن عنده استنارة في التفكير، والاستنارة في التفكير: هي التفكير العميق نفــسه، مضافا إليه التفكير بما حول الواقع وما يتعلق به للوصول إلى النتائج الصادقة.

ولذلك فإن كل فكرٍ مستنيرٍ هو تفكير عميق إلا أنه ليس كل تفكيرٍ عميــق تفكيراً مستنيراً [3].

---

1. انظر: هارون، يحيى، التفكير العميق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1424 /2003،ص21.
2. انظر: نفس المرجع، ص21.
3. انظر: الخالدي، محمود ، التفكير بداية الطريق، ص66.

فمثلا عالم الذرة، حين ما يبحث في انشطار الذرة، وعالم الكيمياء حين ما يبحث في تركيب الأشياء إنما يبحث ان بعمق، ولولا العمق لما توصلوا إلى تلك النتائج الباهرة، ولكن إذا فقدت الاستنارة من تفكيرهم فلا تعجب حين ما نجد عالم الذرة، يصلّي للبقرة، أي لحيوان، مع أن أبسط استنارة ترى أن هذه البقرة لا تنفع ولا تضر وأنها ليست مما يعبد ولا تعجب حين تجد القانوني الضليع يصدّق بوجود القدّيسين، ويسلم نفسه لرجل مثله من أجل أن يغفر له ذنوبه.

لأن عالم الذرة والقانوني، وأمثالهما، يفكرون تفكيراً عميقاً وليس تفكيراً مستنيراً ولو كان كذلك لما صلّوا لتمثال، ولما صدّقوا وجود القدّيسين، ولما طلبوا الغفران من رجال أمثالهم[1].

وهذا لا يعني أن كل العلماء ليس عندهم استنارة في التفكير بل إن كثيراً من العلماء المتعمقين في علمهم أنار الله عقولهم و قلوبهم وشرح صدورهم للإسلام، ويؤيّد هذا أن طلب العلم المشروع من ركائز الأمن الفكري.

ومقابل ذلك فإن الاستنارة في التفكير لا تقتضي وجود التعلم، أي أن المفكرين المستنيرين لا ضرورة لأن يكونوا متعلمين، فالأعرابي الذي قال :" البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذات أمواج لا تدل على اللطيف الخبير"[2]، هو مفكر مستنير [3].

4.1: علاقة الأمن الفكري وأثره بالأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

1.4.1: علاقته بالأمن السياسي:

إن للأمن الفكري أثره وعلاقته الكبيرة با لناحية السياسية، أو الأمن السياسي، والأمن السياسي هو:"طمأنينة وسكينة واستقرار الدولة ،والحكم مترتب على ما يقدر فيها من تدابير و شؤون تحقق مصلحة الدولة وتدفع عنها المضار والمفاسد" [4] فالأمة لا يمكن أن يتحقق لها الاستقرار والطمأنينة والسكينة إلا إذا

---

[1]. انظر: الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق، ص 66.
2. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، كتاب المواقف:دار الجيل - بيروت، ط1، 1997، ج1، ص151.
3.انظر: عاقل فاخر ، أساس البحث العلمي في العلوم السلوكية، دار العلم للملايين، 1982 م، ط1، ص14.
4. أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص10.

كانت آمنة في فكرها فمن أهم القضايا السياسية التي قام النظام السياسي الإسلامي عليها قضية الحاكميّة أو الحكم.

فكانت هذه القضية وما زالت من أسباب اختلاف الأمة وتصارعها، فأصحاب الفكر الآمن المنبثق من العقيدة السليمة هم الذين آمنوا بأن الحاكمية لله تعالى وحده انطلاقاً من قول الله تعالى :﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف:40).

ولم يكفّروا أحداً من المسلمين بعدم الامتثال لهذا الأمر إذا أقرَّ به ولم يجحده ، ومقابل ذلك من الناس من انحرف فكره في هذه القضية واتخذها ذريعة لتكفير المسلمين والقتل والتدمير العشوائي، إما بالاجتهاد الخاطئ أو لِهوىً في نفسه.

ويأتي الانحراف الفكري في هذه القضية من جانب آخر وهو الاعتقاد بعدم صلاحية الفكر الإسلامي لكل زمان ومكان، واستبداله بالفكر الغربي من أجل مواكبة العصر الحديث المتطور، وقد أشرت إلى هذا الجانب في المبحث الثالث من هذا الفصل الركيزة الثالثة . فصاحب التفكير الآمن المستنير هو الذي يدرك أهمية التفكير السياسي في حياة الأمة وأنه تفكير شعب لا تفكير أفراد، وأنّ الأمّة بدون التفكير السياسي الآمن المنطلق من الفكر الآمن المرتكز على العقيدة السليمة لا حياة لها ولا نهضة [1].

"ويرى الدكتور عبد القديم زلوم أن الأمة الإسلامية عانت من سوء التفكير السياسي الكثير من المصائب والويلات، فالدولة العثمانية مثلاً ، حين كانت أوروبا تحاربها في القرن التاسع عشر، إنما كانت تحاربها في الأعمال السياسية أكثر منها في الأعمال العسكرية، وأنه وإن وقعت أعمال عسكرية ولكنها كانت مساعدة للأعمال السياسية. فمثلاً كانوا يسمونه بمشكلة البلقان، هي مشكلة خلقتها الدول الغربية بالتصريحات، فأعلنوا أن دول البلقان يجب أن تحرّر من العثمانيين، أي من المسلمين، ولكن لم يكونوا يعنون أنهم سيحاربون الدولة العثمانية ، وإنما كانوا يعتمدون على إيجاد القلاقل والاضطرابات في البلقان فجاءوا بفكرة القوميّة والتحرر، فأخذها البلقانيون وأخذوا يقومون بالثورات، فكانت الدولة العثمانية تقوم

1. انظر: الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق، ص83.

بعمليات عسكرية ضد هذه الثورات مراعية وضع الدول الأخرى، وتحاول استرضاء الدول الأخرى مع أن هذه الدول هي التي كانت تسند الثورات، وهي التي كانت تجعلهم يشتغلون ضد الثورات، من أجل أن يكون عملهم إنهاكاً لقواهم، لا قضاء على الثورات، وهكذا كان من نتيجة خطأ الدولة العثمانية، وضلالها في التفكير السياسي أن خسرت البلقان،ثم لاحقتها فكرة القومية في عقر دارها، حتى قضت عليها القضاء المبرم "[1].

فسوء التفكير السياسي هو الذي يدمر الشعوب والأمم ، وهو الذي يهدم الدول أو يضعفها، وهو الذي يحول بين الشعوب المستضعفة وبين الانعتاق من ربقة الاستعمار، وهو الذي يحول بين الأمم المنحطة وبين النهوض" [2].

2.4.1: النواحي الاقتصادية أو الأمن الاقتصادي:

والأمن الاقتصادي هو عبارة عن :"أمن الإنسان على ما يتعلق بثروته وعلاقاته المالية من إنتاج وتنمية وتوزيع واستهلاك بشكل ما يتحقق له الرفاه الاقتصادي"[3].

فمن البديهي أن لكل نظام اقتصادي أو غيره، قاعدة فكرية ينطلق منها وينتهي بها، ويتوقف نجاح هذا النظام على دقة هذه القاعدة الفكرية وسلامتها وليس في هذا أمر مستغرب فكم من الدول في هذا الزمان من يملكون الثروات الطبيعية والموارد الرئيسية ولكنها دول فقيرة ، وإذا لم تكن فقيرة فهي دول متخلفة مستهلكة، والسبب في ذلك أنهم عطّلوا وجمّدوا أفكارهم واتكلوا على فكر غيرهم فتحكم بهم وتسلط عليهم، واستغل ثرواتهم الطبيعية التي أنعم الله تعالى بها عليهم.

فهذا هو حال الأمة العربية الإسلامية عندما انحرفت عن الفكر الإسلامي الآمن المستنير واستبدلته بالأنظمة الوضعية المستوردة، التي أدخلت الأمة في حالة الرضاع الذي لا فطام بعده.

---

1. زلوم، عبد القديم، كيف هدمت الخلافة، 1410هـ / 1990م، ط3، ص18 وما بعدها.
2. الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق، ص81.
3. أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص99.

فالأمن الاقتصادي لا يتحقق إلا بوجود الأمن الفكري الذي هو سبيل إلـــى النهضة والتقدم، فكثير من الدول حصلت على الارتفاع الاقتــصادي ولكــن لــم تحصل على الأمن الاقتصادي، لأنها متخلفة في فكرها، ودليـــل ذلــك البورصـــة العالمية التي قتلت الأمن الاقتصادي في كثير من الدول المتخلفة فكرياً.

فالأمة إذا أرادت أن تكون آمنة على ثرواتها وأموالها فلا بد من أن تبحث عن الوسائل التي تحقق لها ذلك، وهذه الوسائل ليس كما يظن بعض الناس أنها كل ما يتعلق بتنمية المال وتكثيره فقط، بل الأ طى في ذلك ،هو إيجاد الفكر المنـــتج؛ لأن الأفكار هي الثروة الحقيقية لأية أمـ ةمن الأمم ؛ولأن الثروة المادية معرّ ضـــة للدمار في كل حين، وخاصة في عصر التكنولوجيا الحديثة، فإن دمـــرت الثـــروة المادية فإنه يمكن تجديدها ما دامت الأمة مـ حتفظة بثروتها الفكرية، أما إذا انهارت الأفكار وانحرفت وأشغلت بأمور ليست ذات أهمية فإن الثروات الماديـــة مهمـــا تنامت مقاديرها فسرعان ما تنهار وترتد الأمة إلى حالة الفقر مرة ثانية [1].

فطريقة التفكير هي الأساس في النهضة لا المكتشفات والمخترعات،والأمة الإسلامية بوصفها أمة ذات عقيدة صحيحة فطريّ ة سليمة، فإنها بالنظام الذي جـــاء به الإسلام للاقتصاد أعظم أمة على ظهـــر الأرض بالأفكـــار وطريقـــة التفكيـــر وسلامة وجهة النظر في الحياة[2].

ومن الأفكار الاقتصادية المنحرفة التي كانت سبباً في انحطاط الأمة فـــي هذه الحقبة من الزمن والتي قبلها، العشق للأفكار الرأســـمالية لمجـــرد مـــشاهدة مظاهر نجاحها في أوروبا وأمريكا دون تمحيص وإدراك للأفكار الأساسية للعقيدة الرأسمالية التي قامت أصلاً على فصل الدين عن جميع نشاطات الحياة.

وكذلك فقد وجدت الاشتراكية استساغة لها، ووجد من يـــدعو لهـــا دون استنارة في النظر إلى أصول الاشتراكية كعقيدة قامت أصلاً على أساس إنكار لهذا الكون والحياة والإنسان والخالق.

---

1. انظر: الخالدي، محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، دار الجيل- بيروت، ط1، 1404هـ / 1984م، ص9.
2. انظر: نفس المرجع، ص 10.

والجيل الحاضر وهو يدرس الإسلام، ويقف على أفكاره، فإنه أصبح خالياً من المفاهيم الإسلامية على مستوى المعترك العملي في الحياة، لأنه يدرس الإسلام على أنه طقوس وشعائر فقط [1].

فمن هذا المنطق تأتي أهمية طرح النظام الاقتصادي في الإسلام وبيان الأحكام الشرعية لمعالجة جميع مشكلات الحياة.

ولكن هذا الطرح، ما دام يصطدم بعقول خالية من الفكر المستنير وتميل للأفكار الرأسمالية وتشجع عقد التأمين والبنوك الربوبيةوتميل أيضاً إلى الأفكار الاشتراكية وتشجع منع الملكية الفردية.

فلا بد إذاً لطرح الفكر الاقتصادي الإسلامي أن يكون طرحاً قوياً لدرجة إحداث انقلاب فكري يحدث رجّة عميقة في النفوس والعقول [2].

ولقد وضع الإسلام أسساً يقوم عليها النظام الاقتصادي للحياة الإنسانية وهي:

أولاً:عدم معارضة أصول الفطرة، بأن لا يهمل جانباً من جوانبها، ولا يتجاهل حقيقة من حقائقها، فإذا وجد الإنسان وقد انحرف عن أصل من أصول الفطرة أخذ بيده ودله على طريقها الأزلي السوي.

ثانياً:الحث على مكارم الأخلاق وإصلاح الأفكار وتزكية النفس، ليكون منها رقيب على مواصلة العمل بتلك القواعد.

ثالثاً:إن الحكومة لا تلجأ إلى القوة، ولا تستعمل أحكامها الصارمة إلا في الضرورة الحتمية التي لا مناص منها.

والإسلام في هذا الفكر الاقتصادي الدقيق لا يعارض إلا البذور غير الطبيعية التي تسربت إلى حقل الشؤون الاقتصادية واختارها الإنسان بوحي من الشيطان [3].

---

[1]. انظر: الخالدي، محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام ، ص13-14.

[2]. انظر: نفس المرجع ، ص15-16.

[3]. انظر: المودودي، أبو الأعلى، الإسلام ومعضلات الاقتصاد،مؤسسة الرسالة، 1401هـ / 1981،(د،ط)، ص52- 53.

فهكذا يتبين لنا أهمية الأفكار في تحقيق الأمن الاقتصادي لهـــذه الأمـــة، ولكنها ليست أي أفكار بل هي الأفكار الآمنة المحمّ لة بكل معاني العدل والمساواة والإنصاف.

فأصحاب الفكرالآمن المستنير هم الذين يقدّ مون للمجتمع أفكاراً اقتصادية ناجحة ومثمرةلأن أفكارهم منبثقة من ا لفكر الإسلامي المرتكــز علـــى العقيـــدة السليمة.

3.4.1: الناحية الاجتماعية أو الأمن الاجتماعي:

والأمن الاجتماعي:" هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنـــسان، فأودجماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي، بل وأيضاً في المعاد الأخ روي فيما وراء هذه الحياة الدنيا" [1].

فبما أن الأمن الاجتماعي على حد هذا المفهوم يشمل جميع أنواع الأمـــن فإنه بأمس الحاجة إلى القاعدة الفكرية الآمنة المنبثقة عن العقيدة السليمة.

فمن أهم القضايا الاجتماعية التي اذ رهف بها الفكر الإنساني قديماً وحديثاً، مسألة (الفرديّة والجماعيّة).

فالنظم الاجتماعية التي تقوم على الفرد، تبرز كيانه وتبالغ في إبرازه حتى تجعل ذاته مقدسة لا يمسها مساس يصنع ما يحلو لهويملك كما يشاء بغيـــر حـــدّ وعلى أية صورة، ويصوغ أفكاره وعقائده وأخلاقه وتقاليده كمـــا يـــشاء، لـــيس للمجتمع أن يخرج عليه، ليس له أن يقول له:هذا خطأ وهذا صواب.

والنظم التي تقوم على المجتمع، تبرز هي الأخرى كيانـــه، وتبـــالغ فـــي إبرازه حتى تجعل ه هو الكيان المقدس، والفرد لا قداسة له ولا كيان، لا يحق له أن يملك، ولا يحق له أن يصوغ أفكاره وعقائده وتقاليده وأخلاقه، ولا يحـــق لـــه أن يعترض على عمل المجتمع أو يصفه بأنه خطأ أو صواب.

لقد طغى أصحاب هذه الأفكار الاجتماعية في مجتمعاتهم حتـــى أفـــسدوا على الناس حياتهم، فكانت الكنيسة ورجال الدين يفرضان سلطاناً مذلاً على كاهل

---

[1]. عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، ط1، 1418هـ - 1998م، ص12.

الناس، فالإنسان لا يملك أن يتصل بخالقه اتصالاً مباشراً، وإنما ينبغي أن يكون ذلك عن طريق الكاهن أو القسيس[1].

" فهكذا كان الانحراف الفكري في حياة الناس في أوروبا وغيرها من البلاد قبل أن يتصلوا بالإسلام ويحتكوا به من خلال الحروب الصليبية والجامعات الإسلامية في المغرب، وبعد هذا الاتصال استفادت الحضارة الغربية من الفكر الإسلامي فبدأت الدعوة إلى حقوق الفرد، وأخذ المجتمع الغربي بإزاحة كثيرٍ من الأثقال التي كانوا يرزحون فيها وفي مقدمتها الكنيسة ورجال الدين والأشراف (رجال الإقطاع)، ولكن هذه الإزاحة لهذه الأثقال لم تكن على طريقة الفكر الإسلامي، نعم لقد استفاد الغرب من الحركة الإسلامية في محاربة الجاهلية وأفكارها، ولكنهم ثاروا عليها بطريقتهم الخاصة، فدعوا إلى الفردية وانحرفوا في دعوتهم لأن هذه الدعوة، كانت وليدة الجاهلية المنحرفة عن منهج الله تعالى، ثم إنها كانت ردّة فعل عنيف غير متوازن لانهزام الكيان الفردي الذي أنشأه الإقطاع عدة قرون"[2].

ولقد تمخضت عن هذه الدعوات التحريرية للفرد من قيد الاستبداد أفكاراً منحرفة طعنت المجتمع في صميم فؤاده، وعلى رأس هذه الأفكار، الدعوة إلى تحرير المرأة وفك أسرها، فبالغوا في هذا الأمر حتى تفككت الأسر وشاع البغاء وشرّد الأبناء.

ولقد شاعت مظاهر أخرى للانحرافات الفكرية الاجتماعية في تلك المجتمعات منها:

1. قضية تأليه الإنسان أو(أنسنة الآلهة) [3]:

فلقد صرّح الله تعالى في القرآن الكريم أنّ الإنسان هو خليفته في هذه الأرض هو القائم بأمانة العلم والتكليف والمسؤولية نهوضاً برسالة عمرانها، فقال

---

1. انظر: قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، ط12، 1412هـ/ 1992م، ص130- 131.
2. انظر: نفس المرجع ، ص135.
3. أي جعل الآلهة إنسانا يقول تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (المائدة:17).

تعالى:﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْ مَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَــنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك**﴾ (البقرة،30).

ولقد ألَّه الإغريق أبطالهم من الناس ثم أحلّ وا هــذا المــضمون الــوثني وألصقوه بالنصرانية، فألهوا المسيح عليه السلام، فتأليه الإنسان أو أنسنة الآلهة هو انحراف عن فلسفة الاستخلاف، بجعل الإنسان سيد الكون لا خليفــة عــن ســيد الكون[1].

2. قضية نفي الحرية أو القدرة أو الاستطاعة عن الإنسان:

فرأته حقيراً فانيلاً سبيل إلى خلاصه وتقدمه وارتقائه إ لا بالجبرية، والفناء المطلق في ذات الحق سبحانه وتعالى [2].

مما تقدم ي تضح لنا مدى الانحراف الفكري الذي حلّ بالمجتمعات التــي نأت بنفسها عن منهج الله تعالى، ويتبين لنا أيضاً مدى أهمية الأمن الفكــري فــي حياة الناس والمجتمعات البشرية لأن تلك المجتمعات لو كان فكرها آمناً مرتكــزاً على عقيدة سليمة لما حصل لها هذا التفكك ،وهذه الإباحية وهذا الفساد الخلقي الذي لم يترك بيت وبر ولا حجر، إلا ودخله، إلا من رحم الله تعالى.

فهل أغمض عشَّاق الأفكار المستوردة، أو الذين أصيبوا بسهام الغــزو الفكري أعينهم وأقفلوا عقولهم و قلوبهم، عن منهج القرآن الكريم الذي يدعو إلــى الوسطية والاعتدال في كل شؤون الحياة؟!.

فلوا أنهم نظروا وتأملوا في منهج القرآن الكريم لحصلوا على فكرٍ آمــنٍ مستنيرٍ، يحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، ويساوي بيــنهم فــي الإنسانيةفلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، يقول تعالى :﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات:13)ويقول صلى الله عليه وسلم :(إنّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بإصبعه إلى صدره)[3].

---

1. انظر: عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، ص31.
2. انظر: نفس المرجع، ص32.
3. النيسابوري، الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين، 206 /261، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة بيروت،(د،ط)، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ج8، ص11، وهو جزء من حديث (لاتحاسدوا ولاتناجشوا .....) بنفس الباب.

ومن منهج الـ قرآن في تحقيق الأمن الاجتماعي تأسيس المجتمع على أساس التكافل الاجتماعي، يقل تعالى في بيان صفات المؤمنين :﴿**وَالَّذِينَ فِــي أَمْــوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ (المعــارج: 24،25)، ويقول أيضا :﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَــى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر: 9).

فهذا هو الفكر الإسلامي الآمن الذي ينهض بالأمة ويرتقي بها ليــصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً آمناً مطمئناً، يشعر كل فرد فيه بمسؤوليته تجــاه أمتــه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَــامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَــنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [1].

---

[1]. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم 893، ص 176.

الفصل الثاني:
منهج القرآن في بناء الأمن الفكري.

التمهيد:بعد أنتعرفنا في ا لفصل السابق على مفهوم الأمن الفكري وركـائزه وأهميته وعلاقته بأنواع الأمن الأخرى، يحاول الباحث في هذا الفصل أن يجلـي منهج القرآن الكريم في بناء الأمن الفكري من خلال عدة محاور، يتبين من خلالها اهتمام القرآن الكريم بالفكر الإنساني المُعبّر عنه (بالعقل) وأنه موضع التكليف، ويتبين من خلالها محافظة القرآن على العقل الإنسانيمن الانحراف ، فيتحقق بذلك الأمن الفكري لدى الإنسان الذي هو أكرمالمخلوقـات علـى الله تعـالى ، يقـول تعالى:**﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾** (الإسراء:70).

1.2: اهتمام القرآن الكريم بالعقل.

ومن الأمور التي يتضحمن خلالها اهتمام القرآن الكريم بـالفكر الإنـساني وبناءه بناءً آمنا ما يلي:

1.1.2: خطاب العقل في القرآن وأثره في بناء الأمن الفكري.

لقد جاء خطاب القرآن الكريم للعقل الإنساني من خلال الدعوة إلى التفكـر والتدبر والنظر والاعتباروالتفقه والتعقل والتبصر والتذكر ، وكان ذلك في آيـات كثيرة من كتاب الله تعالىيضيق المقام لذكرها جميعها ، ولكننا نتعرض لبعـضها ومن هذه الآيات قوله تعالى :**﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (النحل:44)، فمن أهدافنزول القرآن وغاياته بـ أن جعلـه الله تعـالى موضعا للتفكر والنظر والاعتبار ... فهي دعوة من الله تعالى إلى التفكر وإعمـال العقل البشري بأسرارهذا الكتاب العزيز يقول تعالى:**﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾** (فصلت:42)، الذي احتوى على خبـر مـن

قبلنا ومن بعدنا فيه من شتى العلوم والمعارف بل هو دستور كامل للحياة البشرية إلى قيام الساعة [1].

يقول ابن كثير [2] في قوله ﴿ولعلهم يتفكـــرون ﴾:"أي ينظـــر ون لأنفـــسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين" [3] وفي معناها قوله تعالى :﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَـــاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** (ص:29).

ولقد دعا القرآن الكريم إلى التفكر في النفس الإنسانية وما يحـيط بهـا مــن مخلوقات، فقال تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَـافِرُونَ** ﴾ (الروم:8).

ويقول أيضاً:﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** }(الذاريات:21). ويقول سبحانه فـي حث العقل الإنساني على التفكر في عظيم خلقه من الأرض والجبـال والأنهـار ﴿**هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَـا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الرعـد:3)، ثم دعا سبحانه إلى التفكر في خلق الكائنات وما في ذلك من معجزات بـاهرات ، فقال تعالى:﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِـنْ بُطُونِهَـا شَـرَابٌ مُخْتَلِـفٌ أَلْوَانُـهُ فِيـهِ شِـفَاءٌ لِلنَّـاسِ إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآَيَـةً لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(النحل:69).

---

[1].يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:« أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ »قيل:وما المخرج منها قال:(كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِى لاَتَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِى لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ) مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ».انظر: الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون،(د،ط)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن،ج5، ص171، و قَالَ هَذَا حَدِيثٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ. وَفِى الْحَارِثِ مَقَالٌ

2. هو:إسماعيل بن عمر (2) بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين:حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة 701، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة 774 هـ، من أهم مصنفاته:كتاب (البداية والنهاية في التاريخ) وكتاب(تفسير القرآن العظيم)، انظر: الزركلي، الأعلام، ج1،ص320.

3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص592.

ويقول تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:46).

ثم دعا سبحانه وتعالى الإنسان أن يمعن النظر ويتأمل فيما حوله من الآيات المتنوعة والمنبثة في كل مكان فقال تعالى :﴿فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم:50).

وقال:﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:185) ومنها قوله تعالى :﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:20).

ولقد نعى سبحانه وتعالى وأنكر حال الأقوام الذين عطلوا عقولهم عن التفكر والفهم فقال سبحانه﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:78) وأنكر عليهم في آية أخرى عدم تدبر آياته فقال:﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:68).

وفي مقابل ذلك مدح الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول النيرة المدركة فقال تعالى:﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران :7) وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان:73).

وقال تعالى:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:269) ثم بين سبحانه الفرق الشاسع بين الفريقين من خلال أسلوب النفي والسؤال التقريري، فقال تعالى :﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (غافر:58) وقال﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:5) وقال:﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد:19).

ولقد ربط القرآن الكريم من خلال الآيـــات الـــسابقة الـــذكر بـــين الأســـباب والمسببات لتشكل لدى عقل الإنسان رؤية مركبة تربط بين الكون والحياة والإنسان والوجود، بل إن إحدى طرائق القرآن المنبثة عبر سوره ومقاطعه من أقصاها إلى أقصاها، هي:التأكيد على ضرورة اعتماد هذه الرؤية السببية للظواهر والأشياء من أجل الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق [1].

مما سبق يتبين لنا كيف بنى القرآن الكريم عقلية الإنسان ليصل به إلى الإقرار بتوحيد الله عز وجل من خلال الدعوة إلى التفكر والنظر والاعتبار وهي خطـــوة أولى.

وبعد ذلك ينتقل بنا القرآن الكريم إلى خطوة ثانية تـــسهم فـــي بنـــاء الفكـــر الإنساني، وهي:إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم من خـــلال الـــدعوة إلـــى التفكر. ومن الآيات التي تتعلق في هذه الخطوة قوله تعالى:﴿**أَوَلَـــمْ يَتَفَكَّـــرُوا مَـــا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الأعراف:185) وقوله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ (سبأ:46) .

أما عن الخطوة الثالثة التي أسهمت أيضقًي بناء الفكر الإنساني من خـــلال الدعوة إلى التفكر، وهي:دعوة العقل إلى التفكر في المضار والمنافع، والتمييز بين الحق والباطل مثال ذلك، أسلوب التدرج في تحريم الخمر ، فكان الخطاب فـــي الآية الأولى إلى العقل ، من خلال دعوته إلى التفكر في مضار الخمـــر ومنافعهـــا فيكون بذلك حافزا له على طلب المنافع ورد المضار عن صاحبه . فقال تعـــالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَـــيِّنُ اللَّـــهُ لَكُـــمُ الْآَيَـــاتِ لَعَلَّكُـــمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (البقرة:219) ثم جاءت الآية الثانية بالأمر المقيد فقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُـــكَارَى حَتَّـــى تَعْلَمُـــوا مَـــا تَقُولُـــونَ** .. ﴾ (النساء:43) ثم جاءت الآية الثالثة بالأمر المطلق القاطع فقال تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

[1] .انظرعماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، الدار العالمية للكتب الإسلامية، ط5، 1413 هـ/ 1992 م، ص64 -65.

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة:90).

وهذا الأسلوب يفيد أن أوامر الله تعالى لا تكون إلا بعد الاقتناع العقلي وهو الأساس الذي يدعو الإنسان إلى الإذعان والامتثال.

يستنتج من الخطوات السابقة، أن القرآن الكريم بدأ بدعوة العقل إلى التفكر من أجل إثبات وجود الخالق سبحانه، ثم دعا العقل إلى التفكر من أجل إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبشريته ، المبين لعقيدة التوحيد المنبثة في كتاب الله تعالى، ثم دعا العقل إلى التفكر من أجل الالتزام بشرع الله تعالى من حلال وحرام. ولا يخفى وضوح هذه الرسالة القرآنية إلى كل البشرية ؛ فالدين الإسلامي لم يكن ولن يكون في يوم من الأيام دين يفرض على الناس أن يقتنعوا به ويعملوا بشريعته عن طريق القوة والإرهاب والتدمير العشوائي والعنف وإنما هو دين العقلانية والمنطقية يقول تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة:256) ويقول تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس:99)،وهذا لا يتنافى مع فرضيّة الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ؛ لأن الدين الذي خاطب العقل الإنساني الذي هو مناط التكليف وبه فضّل الله الإنسان على غيره من المخلوقات، حريٌ بهذا الدين أن يعلو و لا يعلى عليه وحري به أن يفرض سلطانه بالقوة على من أقفلوا عقولهم عن قبوله، يقول تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة:32،33).

والمتأمل في سورة التوبة يجد هذه المنهجية واضحة جلية عندما يقول الحق سبحانه: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ثم قال بعد ذلك : ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾ (التوبة 6،7،12).

و"الذي ينبغي أن نـ ثوب عليه مرة بعد مرة، أن التنويه بالعقل علـــى اخـــتلاف خصائصه لم يأت في القرآن عرضاً و لا تردد فيه كثيراً، من قبل التكرار المعـــاد بلكان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتـ ظرة يستلزمها لباب الدين وجوهره ويترقبهـــا من هذا الدين كل من عرف كنهه وكنه الإنسان في تقديره والدين الإسلامي دينا لا يعرف الكهانة، ولا توسط فيه لسّدنة والأحبار بين المخلوق والخالق، ولا يفـــرض على الإنسان قرباناً يسعى به إلى المحرابشفاعة من وليّ متسلط أو صـــاحب قداسة مطاعة، فلا ترجمان فيه بين الله وعباده يملك التحريم والتحليـــل، ويقـــضي بالحرمان أو بالنجاة فليس في هذا الدين إذن من أمر يتجه إلى الإنسان من طريق الكهان، ولن يتجه الخطاب إذن إلا إلى عقل الإنسان حراً طليقاً من سلطان الهياكل والمحاريب أو سلطان كهانها المحكمين فيها بأمر الإله المعبود فيمـــا يـــدين بـــه أصحاب العبادات الأخرى." [1].

2.1.2: الجدل وأثره في بناء الأمن الفكري.

أولاً:مفهوم الجدل: عرف الجدل في اللغة بأنه :" اللّـــددُ فـــي الخـــصومة والقدرة عليهاوقد جادله مجادلة وجدالاً ، وهو أيـــضاً :مقابلـــة الحجـــة بالحجـــة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة" [2].

وفي الاصطلاح:"هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره، والنظر قد يتم به وحده" [3].

والجدل القرآني هو :" براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقهـــا وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها" [4].

---

1. العقاد، عباس محمود، التفكر فريضة إسلامية، دار نهضة مصر، (د، ط) ص 15.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جدل)، ج2، ص212.
3. الكفوي، الكليات، ص353.
4. الألمعي، زاهر بن عوض ، منهاج الجدل في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر، ط2، سنة 1400هـ، ص21.

والجدل من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في بناء الفكر الإنساني الآمن الذي يوصل إلى الحقيقة المنشودة من أجل تشكيل الرؤية السليمة عن الكون والإنسان والحياة.

ولقد احتوى القرآن الكريم على مناهج عديدة من الجدل تنقسم إلى نوعين:

الأول:الجدل الممدوح:وهو أحدالأساليب التي تسهم في بناء الأمن الفكري، ويعرف الجدل الممدوح بأنه :ما كان بنية خالصة، وجرى بطريقة سليمة وأدى إلى خير، أو يقال هو كل جدال أيّد الحق أو أفضى إليه بنية خالصة وطريق صحيح [1].الثاني:الجدل المذموم:كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه [2].

ثانياً:الجدل بين الإباحة والتحريم.

من الآيات التي استدل بها على جواز الجدل الممدوح قوله تعالى :﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل:125)،وقوله تعالى :﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (العنكبوت:46)، يقول الإمام (الفخر الرازي) [3]،في قوله :﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾:"إن الدعوة تحتاج إلى حجة وبينة وأن الحجج تنحصر في هذه الأقسام الثلاثة، أولها :الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك المسمى بالحكمة، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها :﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**} (البقرة:26)، وثانيها:الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية وهي الموعظة، وثالثها:الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل".

---

[1]. انظر: الألمعي، منهاج الجدل في القرآن الكريم، ص45.

[2]. انظر:نفس المرجع، ص57.

[3].هو:محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي:الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري سنة 544 هـ وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة 606 هـ. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. انظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص13.

ثم قال:إذًا عرفت هذا فنقول أهل العلم ثلاث طوائف :الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية وهي الحكمة، والقسم الثاني الذين تغلب على طبائعهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية، والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإ فحام والإلزام، والقسم الثالث الواسطة، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء الحقيقيين، وفي النقصان والرذالة إلى حد المشاغبين المخاصمين، وهم أقوام بقوا على الفطرة والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة" (1).

يتبين مما سبق أن الله تعالى الذي وصف نفسه بالرحمن الرحيم قد يسر سبل الهداية للبشرية على اختلاف عقولهم ودرجاتهم في الفهم، وأن الله تعالى ليست له غاية في عذاب الناس بل هو القائل في كتابه :﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ (النساء:147).

فليس للإنسان عذر في انحرافه فكرياً وعقائدياً وأخلاقياً عن الصراط المستقيم ويقول هذا ما أعطاني ربي من الفهم والإدراك، بل عليه أن يتقدم بخطوات ثابتة وواثقة نحو كتاب الله عز وجل فيجد فيه ما يقنع عقله ويشرح صدره ويجد ثمرة ذلك على جوارحه إذا كان من أهل النية الخالصة.

ويتبين لنا أيضًا أنه ليس للدعاة إلى الله تعالى، عذر في التخلي عن واجب الدعوة واليأس والقنوط والتثبيط من معنويات الآخرين، بسبب اختلاف أفهام الناس ومدركاتهم، لأن الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، بأن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، "فهو بيان لأصناف الدعوة بحسب عقول المدعوين لأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم " (2).

---

1. الرازي، الإمام محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر، (د،ط)، 1415هـ /1995م، ج10، ص141- 142.

2. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، ت 885هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/ 1995م، ج4، ص.324.

لذلك وجب أن يكون القرآن، وهو الحجة الكبرى، فيه من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم، ووجب أن يكون أسلوبه الفكري والبياني بحيث لا يعلو على مدارك طائفة بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين تلقوا من النبي عليه السلام علم القرآن وبيانه، ويجد فيه العلماء غذاءً نفسياً واعتقادياً وخلقياً وصلاحاً إنسانياً، بل يصل الجميع إليه، يجد فيه المثقف بغيته، والفيلسوف طلبه، والعامة من الشعوب دواء نفوسهم، وشفاء قلوبهم"[1].

ومن الأدلة على حرمة النوع الثاني من الجدل وهو المذموم قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾. (الشورى:16)، وقوله تعالى:﴿**وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾ (الشورى:35).

وقوله صلى الله عليه وسلم:(أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) [2].

وقوله صلى الله عليه وسلم :**(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾.)**[3]. وقوله تعالى:﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (آل عمران:66).

ومن الناس من استشهد بهذه الآيات على عدم جواز الجدل مطلقاً ولكن الواضح والظاهر أن المراد هو الجدل المذموم الذي سبق تعريفه.

ثالثاً:أمثلة على الجدل في القرآن وأثرها في بناء الأمن الفكري.

المثال الأول:مجادلة نوح عليه السلام لقومه:

لقد ورد ذكر نوح عليه السلام وجداله مع قومه في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ومن هذه السور ما كان ذكره عليه السلام فيها إشارات ومنها من فصلت أحداث قصته ووقائعها ومن هذه السور سورة هود وسورة نوح، ولا نريد

---

1. أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (د،ط)، 1418هـ/ 1998، ص267.

2. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب قوله تعالى(وهو ألد الخصام) حديث رقم 2457، ص487.

3.الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب ومن سورة الزخرف، حديث رقم3253،ج5، ص378.وقال الترمذي:حديث حسن صحيح.

أن نتعرض في هذا الموضع لأحداث قصة نوح عليه السلام كاملة كما ذكرها القرآن الكريم ولكننا نقف منها على أحداث ساهمت وأشارت إلى الأمن الفكري الذي هو موضوع هذا البحث.

الوقفة الأولى:مع نوح عليه السلام في أسلوبه الدعوي لقومه.

حيث إنه عليه السلام كلما خاطب قومه قال لهم (يا قوم) وهذا لا يخف ما فيه من التلطف والتودد واللين والسماحة بندائهم ونسبتهم إليه، ونسبة نفسه إليهم [1].

ويتبع هذا النداء اللطيف السمح في إظهار مدى حرصه عليه السلام على جلب الخير لقومه ورد الشر عنهم من خلال عدة أساليب:

1. الدعوة ليلاً ونهاراً ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا**﴾ (**نوح:5**).
2. يطمعهم ويبشرهم ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ (نوح:10).
3. التأنيب ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ (نوح:13).
4. إظهار خوفه عليهم من العذاب ﴿**إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾. (هود:26).
5. دعوتهم إلى التفكر في مخلوقات الله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا**﴾ (نوح:15).

وهذه رسالة قرآنية إلى إصلاح الفكر الدعوي في كل زمان ؛ لأن الداعية صاحب الفكر الآمن المستنير ، عليه أن يدرك حقيقة واجبه تجاه المدعوين، ليس فقط القيام بالدعوة والمواظبة عليها، بل يجب أن يكون لديه الحرص الشديد المنبعث من صميم الفؤاد، على حب هداية الناس وهذا هو دأب الأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين.

الوقفة الثانية:مع قوم نوح في نظرتهم المنحرفة لأسباب السيادة وأوصاف الرسالة.

أورد قوم نوح عليه السلام أربعة شبه جعلوها حجة لهم في رد رسالة نوح عليه السلام:

1. قوله تعالى:﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا**﴾ (هود:27).

---
[1] انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص1873.

رل المساواة تنافي دعوى تفوق أحد المتساوين على الآخر بجعل أحدهما تابعا طائعاً، والآخر متبوعاً مطاعاً، لأنه ترجيح بغير مرجح في نظرتهم المادية.

2. قوله تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ (هود:27).

وجه الدعوى أن نوح عليه السلام في تفكيرهم نزل بنفسه من الطبقة العليا إلى الطبقة السفلى، وهذا مرجح لرد دعوته والتولي عنه.

3. قوله تعالى عنهم ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ (هود:27). وجه الدعوى عدم رؤية فضلٍ له مع جماعته من قوة وغيرها من المزايا التي ترفع الأراذل من مقعدهم في السفلة، فيهون على الأشراف مساواتهم في أتباعه.

4. قوله تعالى عنهم: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود:27). وهذا هو المرجح الأقوى لقوم نوح في رد لدد الدعوة، وقد أخّروه في الذكر لأنهم لو قدموه لما بقي لذكر تلك العلل الأخرى وجه [1].

ويتضح من خلال هذه الشبه التي أوردها قوم نوح مدى انحرافهم الفكري ونظرتهم المادية في وزن الأمور، ولقصور عقولهم وبساطة مداركهم العقلية لم يبلغوا إدراك أسباب الكمال الحق، فذهبوا يتطلبون الكمال من أعراض تعرض للناس بالصدفة من الغنى والجاه والسلطان، والكمال الحق ليس في الأشياء التي ذكروا، وإنما هو زكاء النفس واستقامة العقل، فهما السبب المطرد لإيصال المنافع العامة لما في هذا العالم [2].

وليس هذا الفكر المنحرف ببعيد من فكر الأمة في هذا الزمان، والذي يوسّد فيه الأمر إلى غير أهله، نتيجة لهذه المقاييس المادية التي طغت على أفكار الناس لبعدهم عن الفكر الإسلامي الآمن وعن تعاليم القرآن الكريم. يقول صلى الله عليه

[1] انظر: رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار الفكر، ط2، ج12، ص62.

[2] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ت 1393هـ، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ج11، ص240.

وسلم(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قيل وكيف إضاعتها ؟ قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) (1).

ثم يأتي الرد المفحم من نوح عليه السلام على الشبهات التي وردت عليه وعلى رسالته على النحو الآتي.

دحض الشبهة الأولى والرابعة من خلال قوله تعالى عن نوح :﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾. (هود:28)"أي على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله ولهم (فعمّيت عليكم) أي خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها {**أنلزمكموها**} أي نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون" [2].

ويقول الإمام البقاعي[3]،في قوله وأنتم لها كارهون:" إشارة أنها لم تعم ولا خفيت عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها وإنما هم معاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه، والتعبير عن ذلك بالجملة الاسمية واسم الفاعل إشارة إلى أن أفعالهم أفعالمن كراهته لها ثابتة مستحكمة، وكأنه لم يكن مأمورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في أول الأمر " [4].

ويقول صاحب الظلال في هذه الآية :" إذا كان الله آتاني رحمة من عنده باختياري للرسالة، أو آتاني من الخصائص ما استحق به حمل الرسالة وهذه رحمة ولا شك عظيمة، وما رأيكم إن كانت هذه وتلك فخفيت عليكم خفاء عماية لأنكم غير متهيئين لإ دراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها، (**أنلزمكموها**) إنه ما كان لي وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها والإيمان بها، (**وأنتم لها كارهون**)"[5].

---

1. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه، حديث رقم 59، ص17.
2. ابن كثير، تفسير القرآن، ج2، ص459.
3. هو:إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين:مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة،ولد في عام 809، وتوفي في عام 885 هـ بدمشق. من تصانيفه (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، و نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وهو كتاب تفسير، انظر: الزركلي، الأعلام،ج1،ص56.
4. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص523- 524.
5. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج4، ص1874.

وفي ذلك تبصرة لهم بأن الأمر ليس موكولا إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، في الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم، مبدأ الاختيار في العقيدة، والإقناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء [1].

2. دحض الشبهة الثانية من خلال قوله تعالى عن نوح: ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُون**﴾ (هود:29). يوضح هذا الرد أن نوحا عليه السلام لا يمكن أن يطرد إنسانا من حظيرة الإيمان لأنه فقير، فاليقين الإيماني لا علاقة له بالثروة أو الجاه أو الفقر أو الحاجة [2].

وفي هذا المعنى يقول تعالى ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِين**﴾ (الأنعام:52)، [3].

3. دحض الشبهة الثالثة من خلال قوله تعالى: ﴿**وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (هود:31) فقد اتهموا نوحاً عليه السلام ومن تبعه بأنهم ليس لهم من فضل أو من المزايا ما يجعلهم في هذه المكانة، فجاء الرد من نوح بهذه الآية الكريمة.

فهذه الثلاث التي نفاها نوح عليه السلام عن نفسه هي التي كان يظن المشركون من قومه وممن بعدهم أن ثبوتها لازم لمن كان نبياً مرسلاً من الله تعالى إن صحت دعواه، وإلا كان كسائر البشر لا فضل له عليهم، وهذا رد للشبهة الأولى، وفي هذه الآية رد للشبهة الثالثة أيضاً ؛ لأن نفي نوح عليه السلام هذه الصفات عن نفسه يفيد أن ميزان التفاضل عند الله تعالى ليس في هذه الأشياء، ولهذا أمر الله تعالى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بنفيها عن نفسه [4]، فقال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**

---

1. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن ، ج4، ص1874.

2. انظر: الشعراوي، محمد متولي ، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، (د،ط)، 1411هـ / 1991م،ج11، ص6441.

3. قوله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) الكهف:28.

4. انظر: رضا ، تفسير القرآن الحكيم، ج12، ص66.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْـأَعْمَى وَالْبَـصِيرُ أَفَلَـا تَتَفَكَّـرُونَ ﴾ (الأنعام:50).

في هذه الآية إشارة إلى دحض الشبهة الثانية أيضا من خلال قوله تعالى عن نوح:﴿**وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (هود:31) وهكذا أوضح نوح عليه السلام أنه لو طرد من يقال عنهم (أراذل) كان معنى ذلك أنه يعلم النوايا، ونوح عليه السلام، يعلم يقيناً أن الله هو الأعلم بما في النفوس، لذلك لا يضع نوح نفسه في موضع الظلم لا لنفسه ولا لغيره [1].

الوقفة الثالثة:مع قوم نوح عليه السلام في التجائهم إلى العناد والتحدي.

يقول تعالى:﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (هود:32).

فلما غلبهم نوح عليه السلام من خلال البرهان العقلي والنظري فإذا هم قد أخذتهم العزة بالإثم، ويتركون الجدل إلى التحدي [2]، فهذا هو دأب المنحرفين في فكرهم فإذا ألزمتهم الحجة والبرهان يركبون متن العناد والتحدي.

فهي رسالة إلى كل إنسان بأن يذعن للحق إذا انتفت الشبهات وجاء الدليل القاطع ساطعاً مثل شعاع الشمس فيصبح الحق واضحاً أبلج لا يحتاج إلى معجزات وخوارق.

لذلك كان من شأن المنحرفين فكرياً من قوم نوح أن قالوا :﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ** ﴾فإن ذلك ليس بمذمة ولا يتعارض مع دعوة القرآن إلى التفكر والتدبر لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال ، بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء بل لا يفكر هاهنا إلا غبي أو عييّ ، والرسل عليهم السلام إنما جاءوا بأمر جلي واضح وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**(مَا أَحَدٌ عَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ (أَوِ الْإِيمَانَ) أَوِ النُّبُوَّةَ ؛ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ ؛ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ**

---

1. انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج11، ص6447.
2. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج4، ص1875.

يَتَلَعْثَمْ)أي[1]ما تردد و لا تروى لأنه رأى أمراً جلياً واضحاً عظيماً فبادر إليه وسارع" [2].

الوقفة الرابعة:مع قوله تعالى:﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (هود:45،46).

إن مما شاع بين الناس من أفكار منحرفة قديماً وحديثاً الانتصار لوشيجة الدم والنسب والعشيرة،وفي ذلك يقول سيد قطب :"إن الوشيجة التي يجتمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين، وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم، إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب، وليست وشيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللون واللغة ...، إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد كما قال سبحانه وتعالى لعبده نوح :﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾ ثم بين لماذا يكون ابنه ليس من أهله ﴿**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾ إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح﴿**فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (هود:46) " [3].

فنلاحظ من خلال هذه الوقفات من جدال نوح عليه السلام مع قومه كيف تعلق أصحاب الفكر المنحرف من قوم نوح بالماديات والمقاييس التي تعرض للإنسان ثم تفارقه ولم يعملوا عقولهم، فيما هو أنفع لهم ،وركبوا متن ا لعناد والتحدي الذي هو العدو الأول للأمن الفكري الذي هو من ثمرات الفكر الإسلامي الآمن، و لا يخفى ما في هذا الجدل من عظة وعبرة للناس وذلك بأن لا يكونوا كأمثال المنحرفين من قوم نوح فيصيبهم ما أصابهم من الخسران في الدنيا والآخرة.

---

1. الدينوري، أحمد بن مروان،أبو بكر، ت 333هـ، المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم،(د،ط)، 1419هـ، ج3، ص469.

2. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص458.

3. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج4، ص1884.

المثال الثاني: إبراهيم مع الذي حاجه في ربه يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:258).

وهذه الآية تحكي حوارا بين إبراهيم -عليه السلام - وملك في أيامه يجادله في الله لا يذكر السياق اسمه، لأن ذكره لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية "[1]، وهذه الآية فيها إشارة إلى التعجب من حال هذا الرجل الذي يجادل إبراهيم في ربه.

يقول الإمام الطبري [2]، في قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾: "وكذلك تفعل العرب اذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله" [3].

فحال هذا الملك مما يثير العجب لأن الإنسان السوي إذا أنعم الله عليه بنعمة الملك أو غيرها فإنه يهرع إلى الشكر كما هو حال نبي الله سليمان عليه السلام كما يصفه القرآن: ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (النمل:18، 19)، فهذا هو صاحب الفكر الآمن الذي أيقن أن كل شيء في هذه الدنيا متاع زائل يقول تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(القصص:60)، أما هذا الملك الذي حاج إبراهيم فهو يمثل الشريحة المنحرفة عن منهج الله تعالى في كل زمان والذين قال الله عنهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص297.

[2]. محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة 224، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310 هـ. من أهم مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبري، انظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص69.

[3]. الطبري، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، (د. ط) 1415 هـ - 1995 ج3، ص34.

(إبراهيم:29،28) فلا يغتر الإنسان المؤمن بحال هؤلاء الناس وما لهم في هـذه الحياة الدنيا [1].

يقول سيد قطب :"إن هذا الملك المنكر المتعنت إنما ينكر ويتعنت للسبب الـذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر، هذا السبب هو (أن أتاه الله الملك) وجعل في يده السلطان! لقد كانينبغي أن يشكر ويعترف، لولا أن الملك يطغي ويبطر من لا يقدّرون نعمة الله، ولا يدركون مصدر الإنعام، ومن ثم يضعون الكفر في موضـع الشكر، ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين!" [2].

وختمت هذالآية بعد هذه المناظرة بقو ل الله تعالى :﴿ **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾،والظلم في هذه الآية هو الإعراض عن النور الإلهي وهو نور العقـل الذي يسير به المرء في طريق الـ دين فمن ظلم نفسه بإطفاء هذا المـصباح فـسار يتخبط في الظلمات فإنه لا يهتدي في سيره إلى الصراط المستقيم المو صـل إلـى السعادة بل يضل عنه حتى يهلك دون الغاية [3].

أما الإمام الطبري رحمه الله فقد بين أن معنى الظلم في هذه الآية هـو ظلـم النفس.وليس في ذلك تعارض لأن من عطل عقله عن التفكير وتعلق بالماديات فقد ظلم نفسه وقال الإمام الطبريوالله" لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحـ ضون بهـا حجة أهل الحق عن المحاجة والمخاصمة، لأن أهل الباطل حجتهم داحضة" [4].

ويوضح الإمام الشعراوي ذلك ويقول :"أي لا يهديهم الىبرهان، و لا إلى دليل ولا إلى حجة، لأن وليهم الشيطان،﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [5].

---

[1].يقول تعالى {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًـاوَلَهُـمْ عَـذَابٌ مُهِـينٌ }(آل عمران178) ويقول تعالى{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}. (ابراهيم42).

[2]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص298.

[3].انظر: رضا، تفسير القرآن الحكيم، ج3، ص47.

[4]. الطبري، جامع البيان، ج3، ص39.

[5]. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج2، ص1129- 1130.

2.2:القصص والأمثال القرآنية وأثرهما في بناء الأمن الفكري.

1.2.2:وقفات مع القصص القرآني وأثرها في الأمن الفكري.

إن من أهداف القصص القرآني إيصال العبرة والعظة للناس عن طريق التفكير والتدبر بأحوال أصحاب هذه القصص وما جرى لهم، فليس الهدف هو الاستمتاع بسماع هذه القصص وأحداثها، بل لا بد من أخذ العبرة والعظة منها فنقتدي بأهل الخير والإيمان، ونحذر من أن نسير في طريق أهل الشر والطغيان، ولقد بين سبحانه وتعالى أن في قصص السابقين عبرة لأولي الألباب فقال تعالى:﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(يوسف:111).

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقص هذه القصص لتكون موضعاً للتفكر والاعتبار فقال تعالى:﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:176) ولقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين عطلوا عقولهم عن التفكر والتدبر والاتعاظ فقال تعالى :﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(الحج:45،46)، وقال تعالى ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ،وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصافات:137،138).

وإن للقصص القرآني علاقة وثيقة بالأمن الفكري، لأن هذا القصص تسرد علينا أحداثاً ووقائعاً حدثت لأناس طغوا وتجبروا في هذه الدنيا، وذلك لانحرافهم الفكري المتمثل بتعلقهم بالماديات والمظاهر والمتاع الزائل فأرضوا شهواتهم وعطلوا عقولهم فكان مصيرهم إلى الذل والعذاب، والخسران في الدنيا والآخرة ومقابل أولئك المنحرفين، فئة الآمنين فكرياً الذين أعملوا عقولهم، ففازوا بخيري الدنيا والآخرة.

وفي هذا المطلب نتعرض لقصتين من قصص السابقين وهما، قصة قارون الذي يمثل المنحرفين فكرياً، وقصة مؤمن آل فرعون الذي يمثل الآمنين فكرياً.

القصة الأولى:قصة قارون:

جاءت أحداث هذه القصة لهذا الطاغية في سورة القصص فقال تعـالى : ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ** ﴾ (القصص:76 ــ 81).

ومختصر هذه القصة أن قارون كان من قوم موسى أي من بنـي إسـرائيل ولكنه طغى وتكبر عليهم بسبب المال الذي وهبه الله له ولكنه لم يعترف بفضل الله عليه فقال:إنما حصلت على هذا المال بسبب علمي، وكان من شأن بني إسـرائيل في قارون أن انقسموا إلى قسمين، الأول :الذين اغتروا بماله وزينتـه وتمنـوا أن يكون لهم مثل ما عنده، والقسم الثاني :الذين أوتوا العلم فلم يغتروا بماله ولم يتمنوا ما عنده.

ولكن الله تعالى بعزته وجبروته لم يغفل عن هذا الطاغية الذي تكبـر عليـه وأنكر فضله فخسف (سبحانه وتعالى) به وبماله الأرض ولم يجد له فئة ينصرونه من هذا العذاب.

فكان هذا الخسف درساً شديد التأثير في قلوب الذين تمنوا أن يكون لهم مثـل ما أوتي قارون فحمدوا الله بأن نجاهم من هذا العذاب، أما المؤمنون فازدادوا إيماناً وثباتاً [1].

[1].انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، ط2، 1416هـ / 1996م.

ولا نريد أن نتعرض لتفاصيل هذه القصة وأقوال المفسرين فيها بل نقف منها على بعض الأحداث التي يستفاد منها في هذا البحث على النحو الآتي:

الوقفة الأولى:الإنسلاخ من ثوب الإيمان.

يقول تعالى﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ** ﴾إنه جزاء النفاق، والحسد والغرور، بأن ينسلخ الإنسان من أبناء جلدته وعقيدته فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

هذا هو دأب المنحرفين المترفين الذين انغمسوا في ملذات هذه الدنيا وشهواتها،فمنهم من طغى وتكبر بسبب ملكه كالذي حاج إبراهيم في ربه، ومنهم من طغى وتكبر بسبب ماله وثرائه كقارون وأمثاله،فمثلهم كما قال تعالى :﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ (الأعراف:175) وسوف يأتي الحديث عن هذا التمثيل في هذه الآية.

وإن في ابتداء القصة بنسبة قارون إلى قوم موسى عليه السلام، رسالة إنذار وتهديد لكل من تسول له نفسه بالبغي والطغيان، والتكبر على أوامر الله تعالى ونكران فضله، فيكون مصيره كمصير ذلك الطاغية، فها هو قارون وأمثاله من الكبراء والأقوياء والأغنياء في قومهم ، انظروا كيف فعلنا بهم فلا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم قال تعالى﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ، ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ (يونس:13،14) فمن لم يلق جزاءه في الدنيا لقيه في الآخرة، يقول تعالى:﴿**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ (هود:20).

ولقد جاءت الأيام بصدق هذه الصورة، فيما كان بين أغنياء اليهود من تحالف بينهم وبين المشركين على محاربة الدعوة إلى الإسلام، سراً وجهراً، فكان أن أخذهم الله بما أخذ به المشركين، كما أخذ الله قارون بما أخذ به فرعون ([1])، وفي هذا يقول تعالى﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ**

[1].انظر: الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر، (د،ط)،ج 21،ص383.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾(الأحزاب:26،27).

الوقفة الثانية:المنهج الآمن في استخدام النعم،

يقول تعالى:﴿**إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

والنّهي هنا عن الفرح المحظور، فالفرح انبساط النفس لأمر يسر الإنسان . وفرق بين أمر يسرّك، لأنه يمتعك، وأمر يسرك لأنه ينفعك، فالمتعة غير المنفعة، فحينما يقولون له (لا تفرح)أي فرح المتعة، وإنما الفرح بالشيء النافع، ولو لم تكن فيه متعة كالذي يتناول الدواء المر الذي يعود عليه بالشفاء، فقوله تعالى :﴿**لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ أي فرح المتعة الذي لا ينظر إلى مغبة الأشياء وعواقبها، كمريض السكر قد يأكل المواد السكرية لأنها تحدث له متعة، مع أنها مضرة بالنسبة له" [1].

فنهى المؤمنون من بني إسرائيل قارون عن الفرح الذي يعود على صاحبه بالمضرة، لأنهم رأوا قارون مترفاًبماله ولم يعط حق الله فيه ، بل وجهه لإرضاء رغباته وشهواته، ففرح بذلك (فرح الزهو والعجب والخيلاء) [2].

فمنهج القرآن الكريم يدعو إلى الاعتدال، فلا يأمر الإنسان بالإعراض عن هذه الدنيا بالكلية لأنه مستخلف فيها ومأمور بإعمارها فإذا انقطع كل الناس عن هذه الدنيا وما فيها من أعمال لتوقفت الحياة، فالإنسان الواعي صاحب الفكر الآمن المستنير هو الذي يعمل في هذه الدنيا ويجعل غايته الحياة الآخرة، فإن الله تعالى لم يحرّم الاستمتاع بطيبات هذه الدنيا وزينتها ولكنه سبحانه جعل لذلك ضوابط لابد للإنسان أن يلتزم بها، يقول تعالى :﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي**

---

[1]. الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج18، ص1115.

[2]. انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج20، ص384.

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:31،32).

أما إذا خرج الإنسان عن هذه الضوابط فإن حاله مثل حال قارون الذي قابل الإحسان بالإساءة، فكان مصيره أن خسف الله به وبداره الأرض.

يقول سيد قطب :" وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم، ولا يحرمهم المتاع المعتدل، مما وهبهم الله من مال ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال، وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب"[1].

والتوجيه في قوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ ﴾ أي:أن توجه كل ما رزقك الله به من الأموال والنعم نحو الدار الآخرة، فالمال ليس غاية بحد ذاته وإنما هو وسيلة للحصول على السعادة في الآخرة.

ومعنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ أي:أن بعض المسلمين لا يعرف كيفية ابتغاء الدار الآخرة في نعم الله، فيحرمها على نفسه في الحياة الدنيا، فلا يستمتع بها الاستمتاع الطيب المباح، ولا يستخدمها الاستخدام الصحيح الحلال، فيعيش في دنياه محروماً من ذلك الاستمتاع، ويظن أنه بهذا الحرمان يبتغي فيها الدار الآخرة ليذوقها هناك [2].

لقد حرم بعض المسلمين أنفسهم بعض المباحات والطيبات باسم الزهد في الدنيا، وتوظيفها للدار الآخرة، إن الآية ترد عليهم خطأ الفهم وسوء النظر وتنكر عليهم الامتناع عن الاستخدام الحلال والاستمتاع الطيب بنعم الله في الدنيا، وتدعوهم إلى أن يحسنوا الاستمتاع بها في الدنيا [3].

ثم تأتي النصيحة الرابعة من المؤمنين لقارون بمقابلة الإحسان بالإحسان، فقال تعالى:﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾أي مثل إحسانه تعالى إليك فيما أنعم به عليك، والتشبيه في مطلق الإحسان ، أو لأجل إحسانه سبحانه إليك على أن الكاف للتعليل [4]فهذا المال هبة من الله وإحسان ، فليقابل بالإحسان فيه إحسان التقبل

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5،ص2711.

[2]. انظر: الخالدي، صلاح، مع قصص السابقين في القرآن، ص163.

[3]. انظر: نفس المرجع، ص164.

[4]. انظر: الالوسي،شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي، ت 1270 هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، (د، ط)، 1414هـ /1994م،ج 11، ص167.

وإحسان التصرف والإحسان فيه إلى الخلق ، وإحسان الشعور بالنعمة ، وإحسان الشكران [1]. يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم:7).

"إن المادية والتفكير المادي حين يطغى على حياة الناس وشعورهم وتفكيرهم يكاد يعطل فيهم شعور الرحمة والبر والتسامح والوئام والأخوة الإنسانية، وحتى يكاد يميت في الإنسان الضمير والإيمان الذي يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والإحسان والإنصاف" [2].

"وما دام ربك يعطيك، فعليك أن تعطي دون مخافة الفقر، لأن الله تعالى هو الذي استدعاك للوجود، لذلك تكفل بنفقتك وتربيتك ورعايتك، لذلك حين ترى العاجز عن الكسب وقد جعله ربه على هذه الحال لحكمة، حين يمد يده إليك، فاعلم أنه يمدها لله، وأنك مناول عن الله تعالى"[3].

ثم تأتي النصيحة الأخيرة لذلك الطاغية الذي تعلق بالمادة ، فطغت على فكره فتعطلت بذلك كل معاني الرحمة والإنسانية والأخوة عنده ، فكانت النصيحة الأخيرة التي تحذر من الفساد في هذه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾،" أي لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله"[4].

"وهذا تحذير من خلط الإحسان بالفساد فإ ن الفساد ضد الإحسان، فالأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الفساد وإنما نص عليه لأنه لما تعددت موارد الإحسان والإساءة فقد يغيب من الذهن أن الإساءة إلى شيء مع الإحسان إلى أشياء يعتبر غير إحسان"[5]، فالمحسن يجب أن يكون محسناً في كل شيء.

الوقفة الثالثة: الرد المنحرف القبيح.

قال تعالى على لسان قارون ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ (القصص:77).

---

[1]. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص2711.
[2]. الحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ / 1995م، ص412.
[3]. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج18، ص11018.
[4]. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص410.
[5]. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج20، ص109.

"أي إني أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضـــي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم " [1] أو على علم علمه الله عندي استحق به ذلك واستوجبه واستأهله [2]، ويتبين من هذا التأويل أن الانحراف الفكـــري الـــذي وقع فيه قارون ليس أنه اعتقد أن المال الذي أعطيه ليس من عند الله، فقارون كان عالماً بالتوراة وكان مؤمناً قبل أن يبغي على قومه، ولكن الانحراف وقع له مـــن ناحية أخرى وهي أنه ظن أن الله اختصه بهذا المال لفـــضل علـــم عنـــده فهـــو خصوصية من الله له وليس لأحد حقٌ فيه.

هذا هو دأب المنحرفين في كل زمان ومكان من أصحاب الأموال والثراء كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ،أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق:6،7)، فهي ردع من كفر من جنس الإنسان بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه ومعنى الطغيان: تجـــاوز الحد في المعصية واتباع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل، ثم يبين سبحانه سبب هذا الطغيان والانحراف، فيقول تعالى: ﴿ أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾ مفعولاً من أجلـــه أي يطغى لأنه رأى نفسه مستغنيا [3]، ثم يأتي التهديد والوعيد بقوله تعـــالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ (العلق:8).

فالعبرة من هذه الوقفة، من رد قارون الطاغية، أنه ظن أن الله أنعـــم عليـــه بالمال لأنه يستحقه ولأن الله يحبه، ولأنه أهل لتملك ذلك المال، ولأنه يملك صفات خاصة يستحق بها أن يتملك هذا المال، وغيره ليس أهلاً لذلك، لم يعرف قـــارون حقيقة ابتلاء الله له بالمال، وأن إنعام الله على أحد بالمال ليس دليلاً على محبته له، وأن تقليل المال في يد آخر ليس دليلاً غضب الله عليه، وأن المال ليس هو مظهر التكريم أو الإهانة، لم يعرف قارون كل هذا، ولهذا سقط في امتحان المال [4].

فما أكثر المتنفذين في هذا الزمان الذين إذا دعوا إلى الإنفاق في ســـبيل الله وإخراج حق الفقراء، قالوا بكل استهتار وسخرية (تعبي وشقائي بأي حـــق يحـــل

---

[1]. الطبري، جامع البيان، ج11، ص138.

[2]. انظر: ابن القيم، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ/1993م، ج3، ص356.

[3]. انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج16، ص326.

[4]. انظر: الخالدي، صلاح، مع قصص السابقين في القرآن، ص170-171.

لغيري) فأين هم من قول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ (التوبة:34).

الوقفة الرابعة:(موقف الفتنة والاغترار)

يقول تعالى ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**﴾ لم يكتف قارون ، عليه لعنة الله، بالتكبّر على المنعم (سبحانه وتعالى) بل تعدى إلى غير هذه الجريمة البشعة وأخذ يختال ويظهر بزينته ليفتن الناس ويصدهم عن سبيل الله [1].

فانقسم الناس عندما رأوا هذه الزينة والأموال إلى قسمين: الأول:الذين يريدون الحياة الدنيا، والثاني:الذين أوتوا العلم، والعلم هنا هو العلم النافع [2].

"ففي هذه اللحظات تتحرك الفتنة في ذلك الموكب، الذي تحتشد فيه زخارف الحياة، فتحركت مع هذا الموكب أهواء النفوس وشهواتها، وتطايرت من العيون قطرات الاشتهاء والتمني، فقال الذين همهم هذه الدنيا وحدها، وليس للآخرة نصيب يشغل به تفكيرهم ويصرف إليه همهم: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ وهكذا تعظم الدنيا في عين طلابها، فإن فاتهم شيء منها مما وقع لغيرهم، تقطعت نفوسهم أسى وحسرة على حظهم المنكود" [3].

ولو علم الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون حقيقة هذا المال وأنه ابتلاء واختبار من الله تعالى، لما تمنوا هذه الأمنية، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ (طه:131) يقول سيد قطب:" **وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه. ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على**

---

[1]. انظر: الخالدي، صلاح، مع قصص السابقين في القرآن ، ص172.

[2]. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص411.

[3]. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج20، ص389.

ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها" [1].

"و﴿الذين يريدون الحياة الدنيا﴾لما قوبلوا ب﴿الذين أوتوا العلم﴾ كان المعني بهم عامة الناس وضعفاء اليقين الذين تلهيهم زخارف الدنيا عما يكون في مطاويها من سوء العواقب فتقصر بصائرهم عن التدبر إذا رأوا زينة الدنيا فيتلهفون عليها ولا يتمنون غير حصولها فهؤلاء وإن كانوا مؤمنين إلا أن إيمانهم ضعيف فلذلك عظم في عيونهم ما عليه قارون من البذخ فقالوا:﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي أنه لذو بخت وسعادة "[2].

ثم يأتي بعد هذه الصورة المنحرفة التي عبر عنها الذين يريدون الحياة الدنيا صورة أخرى مغايرة لها وناصحة لها إنهم الآمنون فكرياً أصحاب العلم النافع ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ "هذه نظرة أهل الحق والعلم إلى الدنيا.. إنها نظرة قائمة على حساب سليم مع الحياة الدنيا ومتاعها.. فهي عندهم ظل زائل، ومتاع قليل، وحسب الإنسان منها أن يأخذ في حمد ورضى، ما قسم اللّه له، وأن يطلب الرزق من وجوه سليمة مستقيمة، وأن يؤدي حق اللّه والعباد فيما آتاه اللّه.. ثم لا يصرفه شيء من هذا عن طلب الآخرة، والإعداد لها، وابتغاء مرضاة اللّه بالأعمال الصالحة.. فذلك هو خير مما لو اجتمعت الدنيا كلها للإنسان، ثم لم يكن له نصيب في الآخرة "[3].يقول تعالى:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:58).**

لقد صورت لنا هذه القصة مدى الانحراف والطغيان الذي وقع فيه هذا الطاغية الذي أنكر نعمة الله تعالى بسبب تفكيره السطحي الذي لم يتجاوز شهوته ومتعته، فهي رسالة إلى كل من تسول نفسه بالطغيان بأن يصحح مفاهيمه وأفكاره، ليكون من الآمنين في الدنيا والآخرة، وأن يضع بين عينيه قوله

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 5، ص2713.
[2]. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص112.
[3]. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج20، ص389.

تعالى:﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى:27).

القصة الثانية:مؤمن آل فرعون:

لقد تعرضنا في القصة السابقة لنموذج المنحرفين أصحاب التفكير السطحي المادي المتمثل بقارون ومن هو على شاكلته من كل زمان ومكان.

وفي هذه القصة نتعرض لنموذج الآمنين في فكرهم الذين يتجاوز خيرهم إلى غيرهم، المصلحين في مجتمعاتهم، المنتصرين للحق، ولو كان ثمن ذلك دماءهم، الحريصين على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلين بالتي هي أحسن المجاهدين بأعظم الجهاد الذي وصفه النبي عليه السلام بقوله :(**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)[1].

إنه الرجل المؤمن الذي تحكي لنا قصته سورة غافر، التي سميت أيضا بسورة المؤمن، وتبدأ هذه القصة من قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ، يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ**

---

1. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، حديث رقم 2174،ص471. قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي أمامة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال الشيخ الألباني:صحيح.

مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ،وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ، وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ، تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (غافر:23 ــ 43).

لقد ترك هذا الرجل الأبهة والجاه والمنصب والعشيرة ليتاجر مع الله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (الصف:10،11).

فهو من أهل السلطة والجاه ولكنه الإيمان إذا طرق العقول السليمة يرسخ رسوخا لا تزعزعه الرياح العاتية، فقارون كان من قوم موسى وكان حريا به الثبات على الإيمان لماجاءه من العلم والبينات والمال، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، وهذا الرجل كان من آل فرعون فمقتضى الحال أن يتأثر بتلك البيئة الفاسدة المنحرفة عن منهج الله تعالى ولكنه ترفع عن هذا الفساد ونجا بنفسه من سوء العقاب، فهذا هو صاحب الفكر الآمن المستنير.

الوقفة الأولى:(ذروني أقتل موسى وليدع ربه).

لقد قال فرعون هذه المقولة بعد أن جـاء موسـى عليـه السـلام بالبينـات والمعجزات الباهرة التي قهر فيها كيد فرعون وملأه، فرمو ه بالسحر والكـذب، وهذا في غاية البعد لأن تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة والظهـور إلـى حيث يشهد كل ذي عقل سليم بأنه ليس من السحر البتة [1].

وبعد ذلك الاتهام الباطل صدر الأمر الثاني من فرعون وملـئه بقتل أبناء الذين آمنوا ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ أما الأمر الأول :فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين، وأما الأمر الثاني:فكان للتّقليل من عدد هذا الشعب ﴿**قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف:129)، [2].

ثم جاءت مقولة فرعون اللعين التي تحمل بطياتها كل معاني الحقد والعنـاد، والفكر المنحرف في مقابلة الحق، ويظهر في طياتها أيضاً مدى سـذاجة عقـول المخاطبين في هذه المقولةالذين لم ترتق عقولهم للتمييز بين الحق والباطل ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**﴾ وذكر أهل التأويل عدة احتمـالات فـي استئذان فرعون قومه لقتل موسى الاحتمال الأول :أن القوم منعوه من قتل موسـى وذلك على وجوه.

1. أنهم منعوه من قتله لأن فيهم من كان يعتقد أن موسى صادقٌ فيحتال على فرعون من أجل منعه من قتل موسى.
2. أنهم قالوا إن موسى ضعيف فإن قتلته أدخلتالشبهة على الناس فقالوا :إنه كان محقاً وعجزوا عن جوابه فقتلوه.
3. أراد القوم أو الأمراء أن يشغلوا فرعون بموسى لكي يسلموا من شره.

---

1. انظر:الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج14، ص54.
2. انظر:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص83.

الاحتمال الثاني:أن أحداً ما منع فرعون من قتل موسى، وأنه كان يريد أن يقتله إلا أنه كان خائفاً من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله، فيفتضح، إلا أنه لوقاحته قال ﴿**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى**﴾ وغرضه من هذا أنه امتنع عن قتله رعاية لقلوب أصحابه وغرضه منه إخفاء خوفه [1].

إن فرعون كان يعلم أن موسى صادقٌ ولكنه العناد والكبر الذي يورث الفكر المنحرف الذي جعل هذا الطاغية، يستخدم كل الأساليب اللعينة للصد عن سبيل الله تعالى من أجل المحافظة على ملكه وسلطانه، لذلك برر فرعون مقالته السابقة بعد أن أظهر للقوم الاستهتار من موسى عليه السلام، بقوله ﴿**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**﴾ ثم قال ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ يقول صاحب الظلال:"فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله –عليه السلام- ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟ إنه منطق واحد يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان، على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين" [2].

كما تفعل الدول المتنفذة في هذا الزمان عندما تلتمس لنفسها الأعذار والذرائع لتشعر الآخرين بأن لهم قيمة عندها والحقيقة بخلاف ذلك يقول تعالى :﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ (التوبه:10).

الوقفة الثانية:مع الرجل المؤمن في حكمة كتمانه للإيمان.

قوله تعالى:﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ إن كتمان الإيمان من هذا الرجل ليس عن ضعف أو جبن أو خوف ولو أن هذا الرجل لم

---

1. انظر:الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج14، ص55.
2. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص3078.

يكن له هدف آخر من هذا الكتمان لآمن مثل إيمان السحرة ولمـــا منعـــه بطـــش فرعون أن يعلن هذا ا لإيمان،وإنما كان كتمانه ه الإيمان عن سيا سة حكيمة، وتدبير محكم.

فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنـ فسه فحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعيـــة لفرعون وقومه جميعاًإلى الإيمان، ولو أنه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون، يدعوه إلى الإيمان لما استمع له، وأخذته العزة بالإثم وبادر إلى البطش به.

فكان شأنه كشأن موسى وهارون عليـ ـهما السلام، بل إن موسى وهارون معهما من آيات الله المعجزة القاهرة ما يؤيد دعوتهما، أما هذا الرجل فلم يكـــن معـــه إلا منطق العقل، وحجة الكلمة، لقد استطاع هذا الرجل المؤمن بهذا التدبير الحكيم أن يعرض قضية الإيمان بالله في وضوح وجلاء وأن يقدمها إلى فرعون فـــي جـــو هادئ، لا تعكر صفوه الأعاصير المحملة برجوم الردع والتحدي [(1)].

فالداعية الحكيم الذي يريد الخير للناس جميعاً كأمثـــال مـــؤمن آل فرعـــون حريص على أن يستخدم جميع الأساليب المشروعة في الدعوة إلى الله تعالى ومن ذلك أن يُسرَّ بإيمانه ويجعله بينه وبين ربه، ليستطيع أن يقول كلمة الحق ويجهـــر بها أمام القوم المنكرين الذين يصدون ويقتلون كل من يواجههم ويعلن إيمانه ، فهو يكتم الإيمان حتى يقف الموقف الذي يمكنه من الجهر بالإسلام جهراً قوياً عنيفاً[(2)].

فالداعية صاحب الفكر السليم هو الذي يشـ ـعر بمسؤوليته تجاه قومه ومجتمعـــه والناس أجمعين ويكون شديد الحرص على نشر هذا الدين، والمواظبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا ينطوي على نفسه ويقنط من الدعوة، فيعتـــزل قومه ومجتمعه ويحتج بقوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَـــضُرُّكُمْ مَـــنْ ضَـــلَّ إِذَا اهْتَـــدَيْتُمْ إِلَـــى اللَّـــهِ مَـــرْجِعُكُمْ جَمِيعًـــا فَيُنَبِّـــئُكُمْ بِمَـــا كُنْـــتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(المائدة:105)، فإن المنهزمين في ساحة الدعوة إلى الله تعالى، اتخذوا هذه الآية ذريعة في ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، ولقـــد أجـــاب الإمـــام الفخر الرازي على هذه الشبهة من عدة وجوه منها:

---

1. انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج24، ص1226- ص1227.
2. انظر:الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج21، ص13360.

1.قال:والذي عليه أكثر الناس أن الآية لا تدل على ذلك بل توجب أن المطيع لربه لا يكون مؤاخذا بذنوب العاصي، فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بالدلائل، خطب الصديق رضي الله عنه فقال:إنكم تقرؤون هذه الآية﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة:105). وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) [1].

2.ما ذهب إليه عبد الله بن المبارك [2] فقال:هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قال: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ يعني أهل دينكم و لا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله: ﴿**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ (البقرة:54) يعني أهل دينكم فقوله ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ يعني بأن يعظ بعضكم بعضاً ويرغب بعضكم بعضاً في الخيرات، وينفره من القبائح والسيئات، والذي يؤكد ذلك أن قوله ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾معناه احفظوا أنفسكم فكان ذلك أمراً بأن تحفظ فإن لم يكن ذلك الحفظ إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك واجباً.وذكر الإمام الفخر غير هذه الوجوه فليرجع إليها[3].

وقال سيد قطب :"فهم أمة واحدة لها دينها ولها شرعها، ولها مصدر هذا الشرع الذي لا تستمد من غيره، ولا على هذه الأمة حين تبين للناس منهجها هذا ثم تفاصلهم عليه، من ضلال الناس، ومضيهم في جاهليتهم، ومرجعهم بعد ذلك إلى الله "[4].

---

1. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب اذا لم يغير المنكر ،ج4، ص467، قال الترمذي: وهذا حديث صحيح.
2. عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن:الحافظ ولد سنة 118هـ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم سنة181هـ. له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه.انظر::الزركلي، الأعلام، ج4، ص115.
3. انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج6، ص119.
4. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص969.

الوقفة الثالثة:الدعوة إلى أعمال العقل وحرية التفكير.

قوله تعالى:﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ لقد أ نكر الرجل المؤمن هذا الفعل الشنيع من فرعون وقومه فقال :﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾،"فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب، واقتناع نفس، تستحق القتل، ويرد عليها بإزهاق روح؟ إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة" [1].

ويرد سؤال على هذه الجملة لماذا نسب القول إلى القوم جميعاً والذي سيقتل هو فرعون؟ لأنه يريد أن يلفت انتباههم أنهم إذا وافقوا فرعون في قتله عليه السلام فهم شركاء معه في الجريمة، وهم قتلة مثله [2].

وتنكير كلمة رجل فيها حكمة من هذا الرجل المؤمن الذي لم يرد أن يكشف عن إيمانه أمامهم دفعة واحدة ، ليضمن إقناعهم فلم يقل أتقتلون موسى رسول الله وأنا على دينه؟ وإنما قال:﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا**﴾.

أما جملة﴿**أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ فهي توحي بالتعريف بموسى وتقديمه للناس بهذه الصورة ليتعرفوا عليه وعلى دعوته بهذه العبارة الموجزة، وفي ذلك تحفيزاً لعقول القوم على التفكر والتدبر من أجل الوصول إلى الحقيقة .إن موسى يقول:ربي الله، وأنتم تقولون:ربنا فرعون، وشتان بين القولين [3].

"ثم إن هذه المقولة التي ينادي بها موسى، تستند إلى آيات بينات، قد رأيناها رأي العين، وقدبطل بها سحر الساحرين، وهذا يعني أنها من عند إله قوي، فإذا آمن موسى بهذا الإله، وتلك حجته قاهرة بين يديه على قوة معبوده الذي يعبد فهل نستحل لذلك دمه؟﴿**وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ ثم يدعو الرجل المؤمن القوم أن يتمهلوا في الحكم على موسى عليه السلام وأن يتركوه حتى يتبين أمره، فيقول:﴿ **وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾. **إنه يسير فى طريق اختاره لنفسه، فإن يهلك فلن يهلك إلا هو، وجنايته على نفسه وحده، لا تصيب أحداً غيره!..**" [4].

---

1. قطب، سيد، في ظلال القرآن ، ج5، ص3079.
2. انظر: الخالدي، صلاح، من قصص السابقين، ج2، ص112.
3. انظر: نفس المرجع، ج2، ص 113.
4. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج24، ص1228.

ومعنى هذه الجملة إنْ يكن موسى كاذباً في قيله: إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم، وإن يك صادقاً في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا"[1].

ويكشف لنا هذا المقطع عن الفكر المستنير الذي كان يتمتع به الرجل المؤمن حيث قال: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ مع أن الذي يصيبهم كل الذي يعدهم و ذلك ملاطفة لهم في الكلام، ولكي يبعد نفسه عن التعصب لموسى عليه السلام، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه، فيرتجي إجابتهم للحق [2].

ثم يناشد الرجل المؤمن عقول القوم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ معنى ذلك أن من هداه الله إلى تلك المعجزات الباهرات لا يمكن أن يكون مسرفا و لا كذابا، فكان هذا القول إشارة لعلو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض، ويحتمل أيضا أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الألوهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره [3].

ثم يتابع الرجل المؤمن الحوار مع قومه بهذه الأساليب المتنوعة من الترغيب والترهيب والتذكير، في كل مرة يخاطبهم بقوله: ﴿يا قوم﴾، وهذا من باب التلطف والتودد للمدعوين، وعدم الركون إلى أسلوب الشدة والعنف، الذي طالما صُدّ به عن سبيل الله في القديم (أيام الخوارج) قال صلى الله عليه وسلم: (يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرّميه)[4]، وفي الحاضر بتكفير المسلمين.

---

1. الطبري، جامع البيان، ج24، ص74.
2. انظر: الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي الأندلسي 741-792، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، (د،ط)، ج4، ص5.
3. انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج14، ص60.
4. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ للتألف، وَأَنْ لاَ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ، حديث رقم 6934، ص1455.

وفي ذلك إرشاد وتوجيه لكل داعية بالتلطف والتودد للمدعوين، وعدم الركون إلى أسلوب واحد بل هي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

الوقفة الرابعة: فرعون يسلب الناس تفكيرهم والمؤمن يدعو الناس إلى التفكير. فقال تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾.

لقد أراد فرعون بهذه الكلمات أن يقطع الطريق على رجل الحكمة والعقلانية الذي أذهل العقول بهذا المنطق السليم الذي خاطب به العقول والقلوب في آن واحد.

وإن منطق فرعون هو منطق التسلط لأنه جرد القوم من التفكير فكأنه هو الموكل عن عقولهم ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى** ﴾وإنه منطق التزييف لأن سبيل فرعون ليس فيه رشاد [1].

وهل يرى الطغاة إلا الرشاد والخير والصواب؟ وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم يخطئون؟ هل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيا؟ ! وإلا فلم كانوا طغاة؟! [2].

لكن الرجل المؤمن بعد هذا الرد الفرعوني المنحرف لم يستسلم بل استأنف الدعوة بأسلوب الترهيب مما حصل للأمم السابقة وما سيحصل لهم في الآخرة فقال: ﴿**يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ** ﴾، ثم قال: ﴿**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**﴾.

ثم يأتي فرعون مرة أخرى، ليشغل الناس عن أمر هذا الرجل المؤمن فيقول: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** ﴾ فكان لفرعون من الأمر ببناء الصرح مأرب آخر خبيث مثله متمثل بعدة أهداف:

---

[1]. انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج21، ص3369.

[2]. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص3080.

1. إنه بهذا الصرح يريد أن ينسي الناس القضية الأساسية وهي دعوة الرجل المؤمن عن طريق إشغالهم بأمر ثانوي[1].

فإذا نظرنا لأبعاد هذا الهدف الفرعوني نجده متحققاً في هذا الزمان فقد أشغلت الأمة بكثير من الأحداث والوقائع الهامشية التي أنستها مهمتها الأساسية، وهذا ما يريده الغزو الفكري الذي استفحل في مجتمعاتنا.

2. إن فرعون يهدف من وراء بناء الصرح أن ينسي القوم الدعوة والتفكير فيها عن طريق عامل الزمن لأن بناء الصرح يحتاج إلى زمن طويل[2].

3. إن فرعون يريد أن يظهر أمام الناس بمظهر الموضوعية والمنهجية والبحث الجاد، وأنه لم يكذّب موسى إلا لأنه لم يجد إلهه الذي يبحث عنه [3].

وكم هم الذين يعملون ليلاً ونهاراً لطمس معالم الحق من الطغاة والمتسلطين، ظهيرين لأصحاب التفكير السطحي الذين يفكرون فقط بما يأكلون ويشربون، إنهم حريصون عليهم وعلى مصالحهم.

وبعد هذه الرحلة الدعوية الفكرية الشاقة لهذا الرجل المؤمن مع فرعون وقومه، يصرح هذا الرجل المؤمن بإيمانه على ملأ من الناس فيقول لهم: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ ثم يقف الوقفة الأخيرة ويختم هذا البيان الفكري الدعوي بهذه

الكلمات التي يؤكد من خلالها على صدق دعوته ثم يفوض أمره إلى الله تعالى بعد أن قدم لهم النصيحة بكل ما يملك من قوة عقلية وإيمانية، فقال: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾.

2.2.2: الأمثال وأثرها في بناء الأمن الفكري.

إن الأمثال في كتاب الله تعالى لها أهمية كبيرة في حياة الناس فهي مدرسة فكرية وتعليمية ووعظية، يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ**

---

[1]. انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، ص117.

[2]. انظر: نفس المرجع ، ص118.

[3]. انظر: نفس المرجع ، ص118.

يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:21). ويقول تعالى:**﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** (الزمر:27).

والدلالة على أهمية الأمثال المستفادة من قوله :**﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**وقوله:**﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**ذلك أنها بينت العلة التي من أجلها ضرب الله الأمثال للناس وصرفها لهم في كتابه العزيز وهي :رجاء تفكرهم، وتعقلهم بها، ثم تذكرهم بمعرفة الحق الذي ضربت له والانتفاع به.

فالأمثال تسهل للناس التفكر، والتعقل، والتذكر بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظير بنظيره، والمساواة بين المتشابهات في الأحكام وتوضيح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد في كتابه الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها [1].

ويقول تعالى**﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾** (العنكبوت:43)، **يقول الامام الطبري في معنى الآية :" وهذه الأمثال، الأشباه والنظائر(نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) يقول:نمثلها ونشبهها ونحتجّ بها للناس، كما قال الأعشى:**

هَلْ تَذْكُرُ العَهْدَ مِنْ تَنَمَّصَ إذْ... تَضْرِبُ لي قاعِدًا بِها مَثَلاً

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره:وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلا(إلا الْعَالِمُونَ) بالله وآياته". [2]. "

"وإن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ،صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ، يَكَادُ الْبَرْقُ

---

[1]. انظر:الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن المنصور،الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، 1414/4/4هـ، ج1، ص78.

[2]. الطبري، جامع البيان، ج11،ص186.

يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّــهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:17،20) **فــضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في الماء والنار مــن الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة "** [1].

فالآمنون في فكرهم من العالمين الذين وصفهم الله بأنهم أولو الألبــاب هــم الذين يتصفون بهذه الصفة وهم واسطة التعليم وشهداء الله على خلقه، وغيرهم إذا صفت سرائرهم وسلمت فطرتهم، فإنهم بمجرد بيان هذا المثل لهم يسطع نوره في قلوبهم فينتفعون به، أما من انحرفت فطرتهم ولم يتجرد للحق قــصدهم فهــم وإن فهموها فإنهم لا يعقلونها ولا ينتفعون بها "[2].

فهؤلاء أصحاب الفكر المنحرف الذين قال الله فيهم **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَــا لِجَهَــنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْــصِرُونَ بِهَــا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِــكَ هُــمُ الْغَــافِلُونَ ﴾** (الأعراف:179).

يقول الفخر في قوله ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُــمْ أَضَــلُّ ﴾"إن الإنــسان وســائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة، ومتشاركة أيضاً في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التــي تهديه إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فلما أعرض الكفــار عــن اعتبار أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالأنعام، ثــم قــال **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾** لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل، والإنسان أعطي القدرة على تحصيلها، ومن أعرض عن اكتساب الفــضائل العظيمــة مــع القدرة على تحصيلها كان أخس حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز عنها" [3].

---

[1].ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، ط3،1409هـ-/1989م، ص173.

[2]. الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله،ج1، ص75.

[3]. الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج8، ص 68.

ولنكتفي لتوضيح هذا المطلب بمثال واحد من الأمثال القرآنية وهو مثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، يقول تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ، سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ (الأعراف:175، 176). فلم يصرح القرآن الكريم باسم هذا الرجل لأن ذكره ليس ذا أهمية [1].

إن هذا المثال الذي ضرب بهذا الرجل يصور لنا صورة من صور الانحراف الفكري الذي يقع للعلماء، ويوضح لنا هذا المعنى الإمام الفخر الرازي بقوله:"وهذه الآية من أشد الآيات على أصحاب العلم، وذلك لأنه تعالى بعد أن خص هذا الرجل بآياته وبيناته، وعلّمه الاسم الأعظم، وخصه بالدعوات المستجابة، لمّا اتبع الهوى، انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب، وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده من الله أعظم "[2]،وورد في الأثر :(من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا) [3].

ويصور لنا ابن القيم [4] رحمه الله حال هذا الرجل الذي انحرف فكره وانسلخ من آيات الله تعالى فيقول "**ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة، وثياب جميلة، ورئاسة، وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه رأسه وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في لهثه سر بديع وهو أن الذي حاله**

1. انظر: الطبري، جامع البيان، ج13، ص359.
2. الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج8،ص60.
3. الدينوري، كتاب المجالسة وجواهر العلم، عن بشر بن الحارث، ج4، ص104.
4.هو:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين:من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق،ولد سنة 691هـ وتوفي سنة 751 هـ في دمشق،له مصنفات كثيرة منها :كتاب (زاد المعاد) وكتاب (الروح) وكتاب (الفوائد). انظر: الزركلي، الأعلام،ج6، ص56.

ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهــف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه"[1].

فليس الانحراف في الفكر خطره خاص بالجهلاء أو غير المتعلمين، بل هــو أشد ما يكون على العلماء، إذ لو كان عند هذا الرجل أمن في فكره، لنظر إلى هذه الآيات نظر تأمل وتدبر وإخلاص ولكنه لم ينو ذلك ، وإنما اتخذ هذا الذي وهبه الله تعالى له، بنية خبيثة ككسب المال والجاه وغيرها من ملذات هذه الحياة الدنيا[2].

فما هي عاقبة هذا الرجل المنحرف الذي اختار لنفسه الخلود إلى الأرض بعد أن هيأ الله له المقام الرفيع [3]. إنها عاقبة وخيمة بأن يمسخ الله تعالى هذا الرجــل ويشبهه بحال الكلب الذي يلهث في كل أحواله، ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ "لأن الإنسان الذي لا يتبع مــنهج الله يكــون مــضطرب الحركة في الحياة، حتى وإن كان في نعمة، لأنه معزول عن الله، وما دام معزولاً عن الله تجده دائم التساؤل، أيدوم لي هذا النعيم أو لا يدوم؟ ويعيش دائماً في قلــق ورعب مخافة أن يفوت النعيم أو ألا يدوم له النعيم، ومثله كالكلب يلهــث حــال راحته ويلهث حال تعبه" [4].

"وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر، ما أكثر الذين يعطون علم ديــن الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضــعه، واتباع الهوى به، هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم في وهمهم عــرض الحياة الدنيا"[5].

إن صاحب الفكر الآمن هو الذي يدرك أن المنهج القرآني لا يمكن أن يقــدم هذا الدين للدراسة النظرية فقط ، فلم يجعل القرآن الكريم العلم وحده طريقة لتكوين النفوس المسلمة والحياة الإسلامية، لأن العلم لا يعصم صاحبه كما حــصل لهــذا الرجل الذي انسلخ من آيات الله تعالى ولم ينتفع بها، بل إن القرآن الكريم قدم هذا

---

1. ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص216.
2. انظر: رضا ، تفسير القرآن الحكيم، ج9، ص407.
3. يقول تعالى {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}(المجادله:12).
4. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج7، ص4462.
5. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، ص1398.

الدين كعقيدة دافعة ودافقة، تدفع إلى الحركة لتحقيق مدلولها العملي فور استقرارها في القلب والعقل، ويقدمه منهجاً للنظر والتدبر، يتميز ويتفرد دون مناهج البشر في النظر، لأنه إنما جاء لينقذ البشر من قصور مناهجهم وأخطائها وانحرافها تحت لعب الأهواء، ويقدمه ميزاناً للحق تنضبط به عقول الناس ومداركهم وتقاس به وتوزن اتجاهاتهم وحركاتهم وتصوراتهم، فما قبله منها هذا الميزان كان صحيحاً لتمضي فيه، وما رفضه هذا الميزان كان خاطئاً يجب الإقلاع عنه [1].

وتختم هذه القصة لهذا الرجل الذي انحرف عن منهج الله تعالى بالدعوة إلى التفكر في حاله وما آل إليه من الذل والانحطاط الذي هو جزاء كل منحرف وإن أملي له في هذه الحياة الدنيا يقول تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾"أي اقصص أيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصة هذا الرجل المشابهة حاله لحال هؤلاء المكذبين رجاء أن يتفكروا فيه فيحملهم سوء حالهم وقبح مثلهم على التفكر والتأمل، فإذا هم تفكروا في ذلك تفكروا في المخرج" [2].

إن الذي حصل لهذا الرجل من الذل والانحطاط، فيه من العبرة والعظة البليغة لكل من عطل عقله عن التفكر بنعمة الله التي أوتيها، وقابل هذه النعمة بالكفران. فحريٌّ به أن يرتفع بنفسه ويعيد النظر والتأمل والتدبر بما أوتي لعله يتذكر أو يخشى.

3.2: وسطية الإسلام وسماحته وأثرهما في بناء الأمن الفكري.

1.3.2: الوسطية في الإسلام وأثرها في بناء الأمن الفكري.

أولاً: مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح.

أ.الوسطية في اللغة:الوسطية من وسط، والوسط ، محركة، تعني من كل شيء:أعدله. قال الزجاج:فيه قولان:قال بعضهم:أي عدلاً،وقال بعضهم، خياراً ، اللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير، والخير عدل[3].

---

1. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، ص1399.
2. رضا ، تفسير القرآن الحكيم، ج9، ص408.
3. انظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي فيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،دار الفكر،(د،ط)،1414هـ/1994، باب وسط،ج10، ص442.

ب-معنى الوسطية في الاصطلاح :فيه المعنى اللغوي (وسط الشيء ما بين طرفيه كأوسطه، والتوسيط أن تجعل الشيء في الوسط "[1]، ولدى العلماء التوسط، حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط "[2].

ثانياً:حقيقة الوسطية في الإسلام:

ليس المقصود من الوسطية في الإسلام أنها نقطة تحول بين طرفين أو وسطية جزئية كما يقال فلان وسط في كرمه، أي ليس بالكريم ولا بالبخيل، أو وسط في دراسته ويرأله وسط بين الجيد والرديء، فهذا المفهوم ناقص مجتزأ، أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية في الإسلام وبشكل عام[3].

فالوسطية في الإسلام تعني (العدل الخيار والأفضل) فليس معنى الوسطية مجرد التجاوز بين الشيئين فقط، بل أصبح ذا مدلولاً أعظم، ألا وهو البحث عن الحقيقة، وتحصيلها والاستفادة منها، وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط[4].

فالوسطية بهذا المفهوم تعني اختيار الفضائل من كل شيء والفضائل هي:"أوساط أطراف، وهذه الأطراف هي الرذائل كالكرم وسط بين البخل والإسراف"[5].

ومن الفضائل التي دعا إليها الإسلام والتي تعد وسطاً بين الإفراط والتفريط ما يلي:

1. الحكمة:**وهي:**"علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي والحكمة أيضاً

---

[1]. ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، مادة وسط، ج15، ص293.

[2]. الفرفور، محمد عبد اللطيف، الوسطية في الإسلام، دار النفائس،ط1، 1414 هـ /1993، ص27.

[3]. انظر:الزير زيد عبد الكريم، الوسطية في الإسلا م، ص18 وما بعدها، نقلاً عن الفرفور الوسطية في الإسلام ص27 وما بعدها.

[4]. انظر: نفس المرجع ، ص18 وما بعدها.

[5]. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، نقلاً عن الفرفور الوسطية في الإسلام ، ص60.

هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هـذه القوة والبلادة التي هي تفريطها" [1].

2. الشجاعة وهي:"هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين" [2]، وإفراطها التهور، أي الإقدام على ما لا ينبغي، وتفريطها الجبن أي الحذر عما لا ينبغي الحذر منه [3].

3. العفة وهي:" هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة "[4]، وإفراطها الخلاعة والفجور، أي الوقوع في ازدياد اللذات على ما يجب، وتفريطها الخمود، أي السكون عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه العقل والشرع إيثاراً لا خلقة، فإذا امتزجت الفضائل الثلاثة (الحكمة والشجاعة والعفة) حصلت من امتزاجها حالة متشابهة هي العدالة، فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة[5].

ولقد انحرف فكر كثير من الناس، في فهمهم لمعنى الوسطية في الإسلام، فهي بمفهومهم المنحرف للتنازل والتساهل، بل والمداهنة أحياناً حيث يختارون الأمر بين الخير والشر وهو إلى الشر أقرب في حقيقته ومآله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً[6].

فالخلاصة في التعبير عن حقيقة الوسطية في الإسلام أنها تعني:" الخيرية، سواء أكانت خير الخيرين، أو خيراً بين شرين، أو خيراً بين أمرين متفاوتين"[7].

ولقد تجلت وسطية الإسلام في عقيدته أولاً ، فلم تشرد بها الروحيات في تجريدها المغرق، ولا أثقلتها الماديات في كثافة مفرطة عطلت معناها، إن الإنسان

---

1. الجرجاني، التعريفات، باب الحاء، ص123.
2. نفس المرجع، باب الشين، ص165.
3. انظر: الفرفور، الوسطية في الإسلام،ص59.
4. الجرجاني، التعريفات، باب العين، ص195.
5. انظر:التفتزاني، التلويح بحاشية التوضيح، ج2، ص48-49، نقل عن الفرفور الوسطية في الإسلام. ص59.
6. انظر: العمر، ناصر بن سليمان العمر، الوسطية في ضوء القرآن، ص80،79، 81،مصدر الكتاب:موقع الإسلام (www.al-islam.com).
7. الصلابي علي محمود، الوسطية في القرآن، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، دار المعرفة،(د، ط)، ج1، ص59.

جسم وروح، وعقيدته الإسلام تنبثق عن الفطرة وتلبيها أحسن تلبية، بإحكام وشمول وانسجام موزون، وتصبغ العقيدة الشريعة بصبغتها، كما تصبغان معاً السلوك، فيشمل هذا التوسط بنية الدين في عناصره جميعاً ، وأمة هذا الدين تبعاً لذلك، فتكون أمة وسطا، في كل شيء شكلاً وموضوعاًومادة ومعنى، [1] يقول تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة:143).

يوضح لنا الإمام الطبري معنى الوسطية في هذه الآية فيقول :" وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل "وسط الدار"، محرّك الوسط مثقّله، غير جائز في سينه التخفيف"

ثم قال:"وأرى أن الله تعالى ذكره، إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلّو فيه غلوّ النصارى الذين غلو بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، و لا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار من الناس عدولهم"[2].

وجاء في معنى قوله (وكذلك)" أي:وكما اخترنا إبراهيم وأولاده، وأنعمنا عليهم بالحنيفية المستقيمة كذلك﴿**جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ أي عدلاً وخياراً"[3].

ويقول الإمام الزمخشري [4]:"مثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطاً خياراً"[5].

---

1. انظر: الأميري، عمر بهاء الدين، وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، دار الثقافة، ط1، 1406هـ - 1986م، ص45.
2. الطبري، جامع البيان، ج2، ص10-11.
3. الواحدي، أبو الحسن علي بن احمد النيسابوري، الجامع الصحيح ، ت468هـ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية،ط1، 1415هـ/1994م، ج، ص224.
4. هو:أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، (467-538)، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه. أخذ النحو عن أبي مضر منصور (2)، وصنف التصانيف البديعة:منها " الكشاف " في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله و " المحاجاة بالمسائل النحوية " و " المفرد والمركب " في العربية. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،وفيات الأعيان، دار صادر – بيروت،ط 1، 1994، ج5،ص168،
5. الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر،ط1، 1397هـ/ 1977م، ج1، ص317.

ويوضح لنا الإمام أبو حيان الأندلسي [1]هذا المعنى ويقول:" وجعلناكم أمة وسطاً جعلا مثل ذلك، والإشارة بذلك ليس إلى ملفوظ به متقدم، إذ لم يتقدم في الجملة السابقة اسم يشار إليه بذلك، لكن تقدم لفظ يهدي، وهو دال على المصدر، هو الهدى، وتبين أن معنى **﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** (البقرة:142) يجعله على صراط مستقيم، كما قال تعالى: **﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** (الأنعام:39)، قابل تعالى الضلال بالجعل على الصراط المستقيم، إذ ذلك الجعل هو الهداية، فكذلك معنى الهدى، هنا هو ذلك الجعل "[2].

ويقول الإمام البيضاوي [3]:"وكذلك إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة، أي جعلناكم مهتدين إلى الصراط المستقيم،" [4].

ونجد صاحب الظلال يصور لنا أبعاد هذه الوسطية وملامحها فيقول: **"إنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي..**

«أُمَّةً وَسَطاً».. في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة

---

[1]. هو:أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي، الإمام الكبير في العربية والبلاغة والتفسير، ولد سنة 654 ستمائة وأربع وخمسون، ونشأ في غرناطة الأندلس، ويحدثنا هو عن نفسه فيقول:... من لدن ميزّت أتلمذ للعلماء وانحاز للفقهاء وأرغب في مجالستهم، أسلك طريقهم وأتبع فريقهم... وما زال يتنقل بين العلماء ويقتبس من أنوارهم ويقطف من أزهارهم، ويلتقط من نثارهم، يتوسد أبواب العلماء مؤثرا العلم على الأهل والمال والولد، ويرتحل من بلد إلى بلد حتى القت به بمصر عصا التسيار.ومن أهم مصنفاتهالبحر المحيط في التفسير ، توفي سنة 754 هـ، انظر: مقدمة كتاب البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، (د.ط)، 1412هـ / 1992م،ص4.

2. الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفير، دار ، ج2، ص11.

3. هو:عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي:قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس)سنة وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. سنة791، من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " يعرف بتفسير البيضاوي، و " طوالع الأنوار " في التوحيد، انظر: الزركلي، الأعلام، ج4،ص110.

4. البيضاوي، ناصر الدين، أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 791هـ، تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، د.ط، 1416هـ /1996، ج1،ص415.

وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بـــلا تفــريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

«أُمَّةً وَسَطاً».. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافــذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتـــاج للفكــر والتجريب وشعارها الدائم:الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، فـــي تثبــت ويقين" [1].

فعلى الإنسان المسلم إذا عرف أنه مكلف بالدعوة إلى الله وأن دينه يدعو إلى الوسطية وأنه شهيد على الناس ،عليه أن يكون عادلاً حتى مع عدوه [2]، ويقـــول تعالى: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُـــوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** (المائدة:8)، وإذا كان الله تعالى يقرر **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** (الفتح:29)، فإنها شدة في الحق ومع الرافضين للحق وهي في أعماقها حكمة وفي مقاصدها نعمـــة، وإذا كانـــت العزة لله **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُـــولِهِ وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ وَلَكِـــنَّ الْمُنَـــافِقِينَ لَـــا يَعْلَمُـــونَ﴾** (المنافقون:3)فإنها عزة لا خلف [3] فيها و لا جور، و لا كبرياء و لا غلـــو، والله جلت حكمته يدعو المؤمنين لأن يغفروا حتى للـــذين لا يرجـــون أيـــام الله،يقـــول تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَـــانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (الجاثية:14) وأن يدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة [4].

ثالثاً:علاقة الوسطية ببناء الأمن الفكري.

تتضح علاقة الوسطية ببناء الأمن الفكري من خلال النظر إلى ثمار الوسطية، فمن ثمارها إنشاء الأجيال الآمنة فكرياً المتفهمة لحقيقة الإسلام ورسالته الخالـــدة، المتمثلة بالقرآن العظيم الذي هو دستور كامل وشامل لكل مناحي الحياة في كـــل زمان ومكان.

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 1، ص 130-131.

[2]. استدل المؤلف المذكور في الهامش (4) بقول نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه ليس له أصل من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو:(اجعل بينك وبين عدوك العدل، وبينك وبين صديقك الرضا).

[3]. نقيض الوفاء بالوعد، انظر::ابن منظور، لسان العرب، مادة خلف، ج4،ص190.

[4]. انظر: الأميري، وسطية الإسلام وأمته، ص46-48.

ولقد جنى المسلمون هذه الثمرة، يوم أن جعلوا القرآن الكريم عاملاً في حياتهم ولم يتجاوزوا تعاليمه في كل صغيرة وكبيرة ، فهو المرجع والأساس في كل شؤون حياتهم لأنهم علموا وأيقنوا أنه هو المنهج العدل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد كان سلف هذه الأمة من القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ومن تبعهم بإحسان، كانوا أشد الناس تصوراً للتوسط وفهماً للشريعة والعقيدة على هذا الأساس المتين الراسخ، كما كانوا في حياتهم اليومية أكثر الناس تمسكاً بهذا الأصل وهو التوسط بلا غلو ولا انحلال ، تشهد لذلك سيرتهم وحياتهم من أخذ بأصول الخلاف العلمي وآدابه، وبالخلق الإسلامي، كانوا رضي الله عنهم يختلفون ولا يختصمون، يرجعون إلى الحق إذا ظهرت لهم أماراته [1].

ولقد جاء أناس حادوا عن الصراط ولم يلتفتوا إلى منهج القرآن الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال، فأخذوا النصوص على ظواهرها فضلوا وأضلوا كثيراً من الناس، وسبب ذلك هو خروجهم عن منهج الوسطية الذي نتج عنه انعدام الأمن الفكري لدى هؤلاء الناس، ولعل فرقة الخوارج [2] هم أول من مثل هذا المنهج الضال المنحرف فيقول صلى الله عليه وسلم عن العراق :"يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرّميه " [3] وما زالت بذور الخوارج تعيث في الأرض الفساد إلى يومنا الحاضر، وتمطر أفكارهم المنحرفة على أمة الإسلام مطر السوء حيث اتخذ أعداء الله ورسوله من هذه الأفكار المنحرفة ذرائع لحرب الإسلام والمسلمين والإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويمثل هذا الفكر المنحرف جانب الإفراط في الخروج عن منهج الوسطية في الإسلام، أما جانب التفريط فنمثل له باستبدال القوانين الربانية بالقوانين الوضعية،

---

[1]. انظر: الفرفور، الوسطية في الإسلام ص13-14.

[2]. الخوارج: هم فرقة من الفرق التي ظهرت في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وكانت لها آراء أحدثت شرخاً سياسياً في بناء الأمة، وكان أول ظهور لها في معركة صفين، التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وسموا بذلك لخروجهم على جماعة المسلمين ومعارضتهم للإمام علي رضي الله عنه . المصدر موقع الإسلام..www.islamweb.net.

[3]. سبق تخريجه صفحه (58).

ظانين أن هذه القوانين هي التي تواكب العصر الحاضر ومتطلباته، ويعود ذلك إلى بعدهم عن كتاب الله تعالى والعمل به، فلو أنهم أعادوا النظر مرة بعد مرة، وتفكروا في هذا الكتاب العزيز لوجدوا فيه بغيتهم و عزهم وقوتهم، فهو الدستور الشامل والكامل الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال في كل شؤون الحياة ، الذي يصلح لكل زمان ومكان.

فنتج عن هذ ا الانحراف الفكري الذي سببه التفريط بأن أصبحت الأمة الإسلامية أمة مهانة ذليلة خاضعة لغيرها، يفرضون عليها ما يريدون من الأفكار والقوانين لأنهم هم الذين صنعوا هذه القوانين والأفكار، والأمة الإسلامية هي التي رضيت لنفسها أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

رابعاً:من مظاهر الوسطية في الإسلام كما بينها القرآن الكريم.

أ.التوسط في العقيدة: كانت العقيدة الإسلامية الصافية أداة توحيد، فأصبحت اليوم أداة تفريق، والمشكلة تكمن في سوء فهمنا لهذه العقيدة الراقية لا في العقيدة ذاتها فالعقيدة الإسلامية القائمة على الوسطية بين الروحانية والمادية، وبين العقلانية والوجدانية ... هي العقيدة القادرة على أن توحد أبناء هذه الأمة تحت مظلتها[1].

ومن مظاهر الوسطية في العقيدة كما يقررها القرآن الكريم ما يلي:

1**باب توحيد الله تعالى** :ونتطرق في هذا الباب إلى ثلاثة مواقف لتتضح وسطية الإسلام وعدالته في باب التوحيد لله عز وجل:

أولاً:موقف اليهود: فأمة اليهود هي الأمة التي غلب عليها طابع التفريط والتقصير في باب التوحيد وغيره، ولعل من أبرز مظاهر تفريطهم في باب التوحيد أمرين:

الأول:اتخاذهم الأنداد - لله عز وجل- وعبادة الأصنام.

والثاني:إغراقهم في تشبيه الخالق بالمخلوق، ووصف الله عز وجل بالنقائص التي لا تليق إلا بالمخلوق[2].

---

[1]. انظر: الفرفور، الوسطية في الإسلام، ص72.

[2]. انظر: الصلابي، الوسطية في القرآن، ج2، ص25-26.

ومن الآيات التي تتحدث عن تفريط اليهود في هذين الأمرين:

قوله تعالى:﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ (الأعراف:138).

يقول سيد قطب: "إنها العداوة تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام! ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية ...... ثم يقول: ويغضب موسى فيقول قولته التي تليق بهذا الطلب العجيب ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ولم يقل تجهلون ماذا؟ ليكون في إطلاق اللفظ مايعني الجهل الكامل الشامل .. الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من الحماقة ضد العقل! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة؛ وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد وأنه ما من علم و لا عقل يقود إلى غير هذا الطريق"[1].

يتضح مما سبق كيف قصر اليهود في توحيد الله تعالى ولم يكتفوا بذلك بل قالوا ما هو أقبح وأشنع ونسبوا إلى الله تعالى النقائص، فقال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (المائدة:64)، وقال تعالى:﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾(آل عمران:181).

ثانياً: موقف النصارى: لم يقل موقف النصارى عن اليهود في انحرافهم الفكري العقائدي، بل غالوا في هذا الباب وضلوا ضلالاً كبيراً، ومن ذلك أنهم سبّوا الخالق سبحانه وتعالى، وقالوا إن الله اتخذ ولداً وقد نزّه الله سبحانه وتعالى نفسه عن ذلك الافتراء، فقال عز وجل: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ (البقرة:116) وقال سبحانه: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** ،

---

[1]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، ص1366.

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ،إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (مريم:88- 93)."والدعاء بمعنى التسمية، أي سمّوا للرحمن ولداً أو بمعنى النسبة أي نسبوا له ولداً ، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي لا يصلح له ولا يليق به لاستحالة ذلك عليه لأن الولد يقتضي الجنسية والحدوث، والجملة في محل نصب على الحال أي قالوا اتخذ الرحمن ولداً أو أن دعوا للرحمن ولداً والحال أنه ما يليق به سبحانه ذلك ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ أي كل من في السموات والأرض (إلا) وهو (آتي)الله يوم القيامة مقراً بالعبودية خاضعاً ذليلا، كما قال :﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل:87)أي صاغرين، والمعنى أنّ الخلق كلهم عبيده، فكيف يكون واحداً منهم ولدًا له "[1].

وقال تعالى نافياً عن نفسه الصاحبة والولد﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:101)أيّ كيف يكون لله الولد،وهو الإله السيد الصمد،الذي لا صاحبة له أي:لا زوجة له،وهو الغني عن مخلوقاته،وكلها فقيرة إليه،مضطرة إليه في جميع أحوالها إليه"[2].

هذا هو الموقف المنحرف لليهود النصارى في شأن توحيد الله عز وجل وكان ذلك الانحراف الفكري نتيجة حتمية لخروجهم عن منهج الوسطية الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام.

الموقف الثالث:موقف المسلمين.

إن موقف الأمة الإسلامية في توحيد الله تعالى هو ما جاء به المرسلون من توحيد الله وإفراده بالعبادة،فآمنت بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا إله غيره، ولا رب سواه هو رب العالمين وخالق الكون ومدبره، وقد استشهد صاحب

---

1. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار عالم الكتب، (د.ط)، ج3، ص352.
2. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر 1307-1376 هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة،ط1،1419هـ /1998م، ص229.

كتاب الوسطية في القر آن الكريم الدكتور علي محمد صلابي ببعض الآيات التي تدل على موقف المسلمين من توحيد الله تعالى وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:11) وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:91) [1] ويرى الباحث أن هذه الآيات مما وصف الله تعالى بها نفسه وليست من قول المؤمنين أ ما الآيات التي تتعلق بموقف المسلمين أو فيها تصريح بتوحيدهم هي:

1. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:30) يقول الإمام الطبري في هذه الآية يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده لا شريك له،وبرئوا من الإلهة والأنداد ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إليه في طاعته فيما أمر ونهى." [2].

2. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:130ــ133).

3. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَإِذَا

---

[1]. انظر: الصلابي، الوسطية في القرآن، ج2، ص39.

[2]. الطبري، جامع البيان، ج24، ص143.

سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾(القصص:51ــ55).

هذا هو موقف المسلمين أصحاب الفكر الآمن المستنير الذين وصفهم الله تعالى بأنهم امة وسطاً ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(البقرة:143).

2. باب الإيمان بالرسل والأنبياء:

لقد انحرف فكر اليهود والنصارى في قضية الإيمان بالرسل كما انحرفت عقيدتهم في توحيد الله تعالى ، ونعرض فيما يلي موقف اليهود والنصارى في قضية النبوات ثم نجلي موقف المسلمين المتوسط المعتدل الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط.

أولاً:موقف اليهود:

لقد عرض القرآن الكريم مواقف اليهود مع أنبيائهم وخاصة مع سيدنا موسى عليه السلام. ومن مواقفهم أنهم فرقوا بين الله ورسله و آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض. يقول تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾(النساء:150).

ولقد فعلوا أكبر من ذلك فأدى بهم انحرافهم إلى قتل أنبيائهم.

يقول تعالى:﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾(البقرة:87)، ويقول تعالى:﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾ (المائدة:70)، ويقول تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ**

بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(البقرة:61). [1].

ثانياً:موقف النصارى.

لقد انحرف النصارى في قضية الأنبياء والرسل بين الإفراط والتفريط فقالوا مثل ما قالت اليهود يقول تعالى :﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾(النساء:150)يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله :"إن الحمقى هم من يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، لهؤلاء نقول :إن الإيمان قضية كلية، فموكب الرسالة من للحق سبحانه وتعالى ، يتضمن عقائد واحدة ثابتة لا تتغير والحق يقول:﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ (النساء:63)، ثم قال:إنهم يريدون من وراء التفرقة بين الله ورسله الاستيلاء على السلطة الزمنية ومعنى السلطة الزمنية :أن الناس كانوا يلجؤن إلى رجال الدين في كل أمورهم، ويفاجأ رجل الدين بأنه المقصود من كل البشر، ويغمره الناس بأفضالهم، وعندما يُسأل يحاول أن يقول الرأي الذي يؤكد به سلطته الزمنية،فإذا ما جاء رسول ليلغي هذه الامتيازات، يسرع بتكذيبه،ليظل كرجل كهنوت على قمة السلطة ، ومن شدة حرصهم على ذلك أنهم احتكروا العلوم الارتقائية مثل علم التحنيط عند قدماء المصريين ما زال لغزاً إلى الآن؛ لا ن القائمين عليه كانوا من الكهان المنسوبين إلى الدين .وكأن الأصل في كل معلومات الأرض هي من هبة السماء ، فأدى ذلك بالبشر إلى الخروج من سلطة الكهان وسنّوا قوانين من وضعهم يتحقق لهم بها الارتقاء والتقدم" [2].

ومن غلو النصارى في الأنبياء، أنهم رفعوهم فوق مكانتهم، يقول تعالى :﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (المائدة:72)، ويقول تعالى:﴿**وَقَالَتِ**

---

[1]. انظر:العمرو، الوسطية في ضوء القرآن، ص157 وما بعدها.

[2].الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص2767- 2771.

الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة:30).

ثالثاً:موقف المسلمين:

يتجلى موقف المسلمين من الأنبياء والرسل من خلال تقرير القرآ ن له فقد رد الله تعالى على من فرق بين الله ورسله، فقال تعالى :﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾ (النساء:150، 151)، ثم يصرح سبحانه وتعالى بعبودية الأنبياء فيقول في حق نوح عليه السلام :﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ (الإسراء:3)ويقول في حق داود عليه السلام :﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (ص:17)، وقال في حق عيسى عليه السلام:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا}(مريم:30)وقال فيه أيضاً :﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران:59)، وقال فيه:﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ (المائدة:75)، ويقول تعالى في حق محمد عليه السلام :﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف:110، ويقول تعالى :﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ (فصلت:6)، [1].

ويقول صلى الله عليه وسلم :(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا:عبد الله ورسوله) [2].

ومن الآيات التي تصرح بموقف المسلمين من أنبياء الله تعالى قوله تعالى:﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ**

---

1. انظر: العمر، الوسطية في ضوء القرآن، ص166.

2. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} حديث رقم 3445،ص701.

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:285).

لقد اتضح لنا مما سبق وسطية الإسلام واعتداله و أنه هو المنهج الرباني الآمن الذي يحقق للناس أمنهم في الدنيا والآخرة، أما من حاد عن هذا الطريق واتبع خطوات الشيطان فقد ظلم نفسه وأمته.

ومن الملاحظات التي يجب التنبيه عليها في هذا المطلب:

أن الباحث كان يذكر موقف اليهود وموقف النصارى ولم يقل موقف اليهودية أو النصرانية، لأن الديانة اليهودية الحقة والنصرانية الحقة تدعوان إلى الوسطية في العقيدة، إنها هي والإسلام عقيدة واحدة، يقول تعالى :﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** (آل عمران:19).

فالانحراف في أمر العقيدة عند أهل الكتاب كان من قبل الأشخاص الذين حرّفوا هذه العقيدة وأخرجوها عن حقيقتها، ومما قيل في تفسير قوله تعالى :﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ "قد وصف إبراهيم بالإسلام في عدة سور، ووصف غيره من النبيين بذلك، فعلم بذلك أن الحصر في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** يتناول جميع الملل التي جاء بها الأنبياء، لأنه هو روحها الكلي الذي اتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الأعمال فيها؛ وبه كانوا يوصون "[1]، ومن الآيات التي تدل على ذلك:

قوله تعالى:﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** (آل عمران:67) وقوله تعالى :﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:132).

ب. وسطية الإسلام في تشريعه:

لقد امتن الله تعالى على هذه الأمة بمنهج الوسطية في كل شيء فهي الأمة الوسط بعقيدتها وشريعتها وأخلاقها ومن الآيات القرآنية التي تقرر منهج

---

[1]. رضا، تفسير المنار، ج3، ص257.

القرآن الكريم في الوسطية في التشريع قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُــونَ الرَّسُــولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِــي التَّــوْرَاةِ وَالْإِنْجِيــلِ يَــأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَــيْهِمُ الْخَبَائِــثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِــهِ وَعَــزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُــوا النُّــورَ الَّــذِي أُنْــزِلَ مَعَــهُ أُولَئِــكَ هُــمُ الْمُفْلِحُــونَ ﴾ (الأعراف:157).

ورد في تفسير هذه الآية :"إن الطيبات هي المحلــلات و إن الخبائــث هــي المحرمات، فليس كل شيء طيب طعمه هو من الطيبات المحللة شرعا، ومــذهب الشافعي رحمه الله أن الطيبات هي من جهة الطعم، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها لأن عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزيــر ، بــل يراها مختصة فيما حلله الشرع . قوله تعالى:﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾...الإصر:الثقل،...والإصر أيضا العهد، ... وقد جمعت هذه الآيــة المعنيين، فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم، بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد وثقل تلك الأعمال، كغــسل البــول وتحليل الغنائم ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها، فإنهم كانوا إذا أصــاب ثوب أحدهم بول **قرضه. وروي:جلد أحدهم. وإذا جمعوا الغنائم نزلت نــار مــن السماء فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها، والأغلال:هي عبارة مــستعارة لتلك الأثقال، ومن الأثقال ترك الاشتغال يوم السبت"**[1].

ومن مظاهر الوسطية في التشريع التي لا بد من التعرض لها في هذا البحث أمر الجهاد في سبيل الله تعالى بين الغلو والتفريط، ولقد انقسم الناس قديماً وحديثاً في الجهاد إلى ثلاث طوائف:

1. الذين يغلب عليهم طابع الحماس والاندفاع والإقدام فــأفرطوا فــي هــذا الموضوع فوقعوا في مزالق كثيرة.

---

1. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن خرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ت671، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط5، 1417هـ/1996، ج7، ص191.

2. الذين فرطوا في الجهاد ويسعون دائماً وأبداً إلى إماتة هذا الركن العظيم الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم (إنه سنام الإسلام) [1].

3. الذين أحبوا الجهاد، ورغبوا فيه وسعوا إليه ولكن لم يدفعهم ذلك لأن يستعجلوا الشيء قبل أوانه ولذلك التزموا بالضوابط الشرعية في الإعداد للجهاد وإعلانه، والاستمرار فيه [2].

ولقد رسم القرآن الكريم لنا هذه المواقف الثلاثة فقال تعالى في حق الطائفة الأولى﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:246).

ومما ورد في تفسير قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ**﴾ " أخبر تعالى أنه لما فرض عليهم القتال ورأوا الحقيقة ورجعت أفكارهم إلى مباشرة الحرب، وإن نفوسهم ربما تذهب ﴿**تَوَلَّوْا**﴾ (البقرة:246)أي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم، وهذا شأن الأمم الممتعة المائلة إلى الدعة، تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب ركعت وانقادت لطبعها"[3].

ويقول صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ) [4].

يقول سيد قطب في قوله تعالى :﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾(النساء:77)

---

1. الشيباني، احمد بن حنبل أبي عبد الله ، ت241، مسند الإمام احمد، دار إحياء التراث العربي ، ط2، 1993م/1414هـ،حديث معاذ بن جبل، رقم 21546، ص311 علق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط وقال :صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد ضعيف.

2. انظر: العمرو،الوسطية في ضوء القرآن، ص253 وما بعدها.

3. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص160.

4. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء،ج2، ص73.

"إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً، قد يكونون هم أشد الناس جزعــاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد، وتقع الواقعة.. بل إن هذه قد تكون القاعــدة! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف. لا عن شجاعة واحتمال وإصرار. كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال. قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة فتدفعهم قلة الاحتمـــال، إلـــى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل. دون تقدير لتكاليف الحركـــة والـــدفع والانتصار.. حتى إذا وجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا، وأشـــق ممـــا تصوروا. فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً.. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ويعـــدون للأمـــر عدته، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة، ومدى احتمال النفوس لهذه التكـــاليف. فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته.." [1].

ومن الآيات التي ترسم لنا الموقف الثـــاني وهـــو موقـــف التفـــريط قولـــه تعالى:﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ (التوبة:81) وقوله تعالى :﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آَمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِـدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ (التوبة:86)

ويقول تعالى متوعّدا ومهددا القاعدين عن الجهاد:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُــمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (التوبة:38،39).

ومن الآيات التي ترسم لنا الموقف الثالث وهو منهج الوسطية من غير إفراط ولا تفريط يقول تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِـنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** }(الأنفال:65) ويقول تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْـدًا**

[1] .قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص712.

عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111)، ويقول تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء:95) ومما يؤكد منهج الوسطية في هذا الجانب أن الله أمر المسلمين بالقتال وكذلك جاء الأمر بالاستجابة للسلم فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ (البقرة:208)، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (الأنفال:61) والسلم لا يعني الاستسلام [1]، يقول سبحانه: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ (محمد:35).

ومن الآيات التي تبين وسطية الإسلام في قضية التشريع بشكل عام قوله تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآَتَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (الحديد:27)

فهذا هو جانب الغلو في العبادة وإخراجها عن منهج الوسطية، فكما أن الله تعالى قد ذم جانب الغلو في العبادة فإنه أيضاً ذم وأنكر على من فرط في هذا الجانب فقال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ (مريم:59).

ثم بين سبحانه جانب الوسطية في تفاصيل العبادات فقال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾ (الإسراء:110)، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ (الأعراف:205)، [2].

ج:وسطية الإسلام في السلوك والأخلاق:

---

[1]. انظر: العمرو، الوسطية في ضوء القرآن، ص253 وما بعدها.
[2]. انظر:نفس المرجع ، ص213-214.

إن الإسلام هو دين الأخلاق فقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه على خلق عظيم فقال تعالى :﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:4) ويقول صلى الله عليه وسلم:(خياركم أحاسنكم أخلاقاً ولم يكن النبي صلى الله عليه و سلم فاحشاً ولا متفحشاً) [1].

ويقول الله تعالى :﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة:151)، فأول الطريق في تزكية النفس البشرية ضبط استعداداتها الأخلاقية بمعيار العبودية لله، فلا يظهر خلق من أخلاقها إلا في الحدود التي حدها الله عز وجل للإنسان على لسان الرسل[2].

وتمثل الأخلاق الإسلامية قمة الوسطية بـ ين الإفراط في حب الذات والتقصير في حق الآخرين وبين التفريط في حقالذات والإهانة لـ لنفس الإنسانية وإذلالها، فمن الأخلاق التي ذمها الإسلام ؛لأن فيها تعد على خلق الله تعالى، وتعد على الذات الإلهية خلق الكبر، يقول الله تعالى :﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾(غافر:27)،وقال تعالى:﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾(الإسراء:37).

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل:(الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ) [3].

ومقابل ذلك فقد نهى سبحانه عن إذلال النفس وبين في آيات كثيرة أن الذل والضعف ليس من صفات المؤمنين يقول تعالى :﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾(المائدة:54)،ويقول تعالى :﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**

---

[1]. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الفحش والتفحش،حديث رقم 1975،ج4، ص349. قال الشيخ الألباني:صحيح.

[2]. انظر: حوى، سعيد، الإسلام، ط6، 1401هـ/1981م، ص295.

[3].البخاري، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط3، 1409هـ - 1989م، باب الكبر، حديث رقم 552، ص194، قال الشيخ الألباني:صحيح.

وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:61)، [1].

ويقول صلى الله عليه وسلم :(الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [2].

ومن الملاحظات التي يجب الإشارة إليها في هذا الجانب أنه لما أثنى الله على رسوله عليه السلام فقال :﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾(القلم:4)، قال بعد عدة آيات:﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾(القلم:9)فمن الناس الذين انحرف فكرهم عن فهم معنى الوسطية في الأخلاق الإسلامية ، قد يتصورون أن من لوازم حسن الخلق المداهنة والمصانعة بل وتعجب إذا سمعت من يرى أن ذلك من أسس الدعوة وأساليبها، وهذا خلل في الفهم وقصور في التصور، وذلك أنه في السورة التي أثنى الله فيها على رسوله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه الرفيعة العظيمة، نفى عنه المداهنة والمصانعة،[3]، فقال تعالى :﴿دوا لو تدهن فيدهنون ﴾ وقال:﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ**﴾ (القلم:10).

يتضح لنا من خلال عرض بعض مظاهر الوسطية كما يقررها القرآن الكريم أن من أسباب الانحراف الفكري الذي حصل للناس في الزمن السابق واللاحق سواءً في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق هو :انحرافهم عن منهج الوسطية العدل الذي يوازن بين الروح والمادة ليس فيه إفراط ولا تفريط ولا يطغى فيه جانب على الآخر.

2.3.2: سماحة الإسلام وأثرها في الأمن الفكري.

أولاً:مفهوم السماحة.

---

1. انظر: العمرو، الوسطية في ضوء القرآن، ص278 وما بعدها.
2. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب القدر ، باب في الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، ج2، ص461.
3. انظر: العمرو، الوسطية في ضوء القرآن، ص291.

أ.السمحة في اللغة : السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة يقال سمح له بالشيء ورجل سمح أي جواد . وقوم سمحاء ومساميح ويقال سمح في سيره. إذا أسرع [1].

والمسامحة: المساهلة وتسامحوا تساهلوا [2].

ب. السماحة في الاصطلاح:"هي بذل ما لا يجب تفضلاً "[3].

ثانياً:حقيقة السماحة في الإسلام.

إن الإسلام هو دين السماحة واليسر والعفو والرحمة والسلام فهو بريء مما ينسب إليه من الدعوة إلى القتل والتدمير والترويع (الإرهاب) يقول تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(الأنبياء:107)،قال الإمام الطبري:"اختلف أهل التأويل في معنى الآية، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر ورجح الإمام الطبري :القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم . فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، و دلخل بالإيمان به . وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله" [4].

فمن سماحة الإسلام أن الله تعالى أرسل رسوله رحمة مهداة إلى جميع الخلق روي عن أبي هريرة قال قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين قال :(**إِنِّى لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**) [5]. وتتضح حقيقة سماحة الإسلام من خلال يسر هذا الدين يقول تعالى﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة:185)،ويقول صلى الله عليه وسلم :(**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**)[6]، ومن سماحة الإسلام أنه دين العفو والصفح يقول

---

1. انظر: ابن فارس، مادة سمح، ص491.
2. انظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،دار العلم للملايين ، ط 4، 1990م، مادة سمح، ج1، ص376.
3. الجرجاني، التعريفات، باب السين، ص160.
4. الطبري، جامع البيان،ج10،ص140.
5. النيسابوري، الجامع الصحيح،الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم 6778، ج2، ص435.
6. البخاري، الجامع الصحيح كتاب الجهاد والسير ، بَابٌ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاِخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، حديث رقم 3038، ص615.

تعالى:﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(البقرة:109)، فهو أمر من الله تعالى بـ أن يقابلوا هذا الحسد وما ينبعث عنه بما يليق بهم من محاسن الأخلاق فقال تعالى:﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**﴾ ولم يقل :فاعفوا واصفحوا عنهم لإرادة العموم، أي عاملوا جميع الناس بالصفح والعفو فان هذا هو اللائق بشان المؤمنين المتقين .[1]، يقول تعالى :﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (الفرقان:63)، ويقول تعالى:﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (النور:22) نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة [2]، لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فـ نزل الله تعالى:﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ....**﴾ فقال أبو بكر والله إني أحب أن يغفر الله لي، فـ رجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال:لا أنزعها منه أبداً [3].

ولقد تجلت سماحة الإسلام في(عقيدته وشريعته ومعاملاته مع غير المسلمين).

أ- سماحة الإسلام في العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية هي عقيدة السماحة واليسر وهي العقيدة التي تتجاوب مع الفطرة الإنسانية يقول تعالى:﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الروم:30)،

---

1. انظر: رضا ،تفسير القرآن الحكيم ، ج1، ص420-421.

2. هو:مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي كان اسمه عوفا وأما مسطح فهو لقبه وأمه بنت خالة أبي بكر أسلمت وأسلم أبوها قديما وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة حلف أبو بكر ألا ينفعه فنزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى الآية فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه ثبت ذلك في الصحيحين في حديث عائشة الطويل في الإفك وفي الخبر الذي أخرجه أبو داود من وجه آخر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم جلد الذين قذفوا عائشة وعده منهم ومات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ويقال عاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين ومات في تلك السنة سنة سبع وثلاثين. انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل – بيروت، ط1،ج6، ص93.

3. انظر: الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ، ت468هـ، أسباب النزول، المكتبة الثقافية،بيروت - لبنان، (د.ط)، ص185.

يقول(الإمام النسفي)، (1):"إنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له ، لكونه مجاوبا للعقل (مساوقاً) للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس"(2).

وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم :(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ.)(3).

ولقد ترك الله تعالى للإنسان حرية التفكر والنظر والتدبر وجعل ذلك وسيلة للوصول إلى الإيمان عن قناعة واختيار فقال تعالى :﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾(يونس:99،100)، يقول الإمام النسفي:في قوله:﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ**﴾ "على وجه الإحاطة والشمول (جميعاً) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه ولا يختلفون فيه، أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته إنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر و لا يؤمن به"(4).

ويتكرر هذا المعنى في أكثر من آية، يقول تعالى :﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾(الكهف:29)، والمعنى قل لهم يا محمد الحق من ربكم وبعد أن تقول لهم هذا القول من شاء أن يؤمن بالله ويصدقك فليؤمن ومن شاء أن يكفر به ويكذبك فليكفر(5).

---

1. هو:عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين:فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها سنة 710. نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند.له مصنفات جليلة، منها" مدارك التنزيل " ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و " كنز الدقائق " في الفقه. انظر: الزركلي، الأعلام، ج4،ص67

2. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي،1408هـ / 1988م،(د.ط)، ج3،ص272.

3. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز. باب مَا قِيلَ فِي أَوْلادِ الْمُشْرِكِينَ، حديث رقم 1385، ص272.

4. النسفي، مدارك التنزيل،ج2، ص177.

5. انظر: الشوكاني، (ت1250هـ)، فتح القدير،ج3، ص282.

ومن ذلك قوله تعالى :﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:256).

من هنا يتبين أن الإسلام هو دين السماحة واليسر فلا إكراه ولا إجبار، يقول تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ (الكافرون:1،2).

ب. سماحة الإسلام في شريعته:

إن الله تعالى لما شرع العبادات لم يكلف الإنسان إلا ما يطيق، فقال سبحانه وتعالى﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة:286)، ويقول صلى الله عليه وسلم:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ**) [1] ويقول تعالى :﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج:78) ويقول تعالى :﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ (النساء:28) ويقول صلى الله عليه وسلم :(**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا، وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**) [2]،:وعَنْ **عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ:(مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا).** [3].

من خلال النصوص السابقة يتضح لنا سماحة الإسلام ويسره فيما يتعلق بالعبادات وفي ذلك رد على من يتشددون ويضيقون على أنفسهم وعلى الآخرين فالله سبحانه وتعالى غني عنا وعن عبادتنا ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل :(......**يَا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِد مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى ملكي شَيْئًا يَا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ ملكي**

---

[1]. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره،ج1، ص314.

[2]. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقائق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم 6467، ص1366.

[3]. نفس المرجع، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم3560، ص730.

شَيْئًا..) [1] ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى يقول تعالى :﴿**مَـنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ (فصلت:46) ويقول تعالى:﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران:97).

ومن مظاهر السماحة واليسر في العبادات ما يلي:

1. **في الصلاة**:لقد يسر الله تعالى على عباده في أمرها ومن ذلك انه رخص قصر الصلاة في السفر، فقال تعالى :﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَـانُوا لَكُـمْ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ (النساء:101)، ومن يسر الدين أن الله تعالى أجاز الصلاة بالتيمم في حال عدم وجود الماء فقال تعالى :﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَـاءَ أَحَـدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْـسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّـرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (المائدة:6)وفي الحـرب رخـص سـبحانه وتعالى الصلاة في حال الركوب والترجل، يقول تعالى :﴿**فَإِنْ خِفْـتُمْ فَرِجَالًـا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقـرة:239)، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم **(صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)** [2].

2. **في الحج**:من سماحة الإسلام في هذا الركن العظـيم أن الله تعـالى لـم يفرضه إلا على المستطيع، يقول تعالى :﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران:97)، وقـد بـين النبي صلى الله عليه وسلم يسر وسماحة الإسلام في هذا الركن ، ومن ذلـك **(أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًـى لِلنَّـاسِ يَـسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ اذْبَحْ، وَلاَ حَرَجَ فَجَاءَ آخَـرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ ارْمِ، وَلاَ حَرَجَ فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صـلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ، وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ افْعَلْ، وَلاَ حَرَجَ.)** [3].

---

[1]. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب البر والصله، باب تحريم الظلم،ج2، ص429.

[2]. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التهجد، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، حديث رقم1117، ص220.

[3]. البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب العلم، باب باب الفتيا وهو واقف على الدابة، حديث رقم83، ص23.

3.**في الصيام:** رخص الله تعالى الإفطار في رمضان للمريض والمسافر (أصحاب الأعذار) فقال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة:185)، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم، فقال: (**إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ مَرَّتَيْنِ قِيلَ إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**)[1].

4. **في الزكاة:** من مظاهر سماحة الإسلام في فريضة الزكاة أن الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا**[2]**، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً { تُؤْخَذُ } مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ.**)[3]، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً أن يأخذ من كرائم أموال الناس والمراد نفائس الأموال من أي صنف كان وقيل له نفيس؛ لأن نفس صاحبه تتعلق به [4].

ومن سماحة الإسلام في هذه الفريضة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ، أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ**) [5].

---

1. نفس المرجع، كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، حديث رقم 1966، ص388.
2. هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن، وهو احد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، روى عنه عمر ابن الخطاب وابنه عد الله، وتوفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، انظر: الجزري، أبي الحسن علي بن محمد، ت630هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/ 1989، ج4، ص418.
3. البخاري، الجامع الصحيح كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم 1458، ص289.
4. انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1408هـ / 1988م، كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ج3، ص250.
5. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب العشر فيما يسقى من ماء السماء والماء الجاري ، حديث رقم1483، ص296.

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم **(لَيْسَ فِيمَا أَقَلُّ مِنْ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلاَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ مِنَ الإِبِلِ الذَّوْدِ صَدَقَةٌ، وَلاَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ.)**[1].

يتضح من هذه الأحاديث وغيرها سماحة الإسلام في فرضية الزكاة فكمـــا أن الله تعالى جعلها حقا للفقراء في أموال الأغنياء؛ فـ إنه سبحانه الكامـــل فـــي عدلـــه وحكمته لم يضيق على الأغنياء في هذه الفريضة بل قال لنبيه صـــلى الله عليـــه وسلم:﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (التوبة:103).

ج- سماحة الإسلام في المعاملة والسلوك:

تتجلى سماحة الإسلام في المعاملة والسلوك فيعدة مظاهر و من ذلك قـــول الله تعالى عن الوالدين المشركين اللذين يريدان إخراج ابنهما مـــن التوحيـــد إلـــى الشركيقول تعالى :﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِـــهِ عِلْـــمٌ فَلَـــا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ (لقمان:15).

ومن ذلك قول الله تعالى:﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِـــالَّتِي هِـــيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (فصلت:34)" أي لا يستوي فعل الحسنات والطاعات، لأجل رضالله تعالى، وفعل السيئات والمعاصي، هـــي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إلـــيهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها ولا في جزائها... ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي:فـــإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصاً من لـــه حـــق كبيـــر عليـــك كالأقـــارب، والأصحاب ونحوهم، إساءة بالقول أو الفعل ، فقابله بالإحسان إليه ، فـــإن قطعـــك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائباً أو حاضراً، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ أي كأنـــه قريب شفيق﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ (فصلت:35)؛أي:ومـــا يوفـــق لهـــذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا انفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه

---

[1]. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة، حديث رقم 1484، ص296.

الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه فكيف بالإحسان"[1]. وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: **(لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)** [2].

ويقول صلى الله عليه وسلم: **(من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء)** [3].

ويقول صلى الله عليه وسلم: **(رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)** [4].

ثالثاً: صور من سماحة الإسلام.

أ. سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين.

لقد قرر الإسلام الأساس الأول للمسلمين في تعاملهم مع غيرهم وهو قوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (البقرة: 256)

وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في حروبهم وتعاملهم مع غيرهم، فكانوا يبيحون لأهل البلد التي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية، مقابل حمايتهم ضد الأعداء، وأعطوهم من الحريات ما تبيح لهم وهم تحت ظل الإسلام ما لا يباح للمسلمين، فالإسلام حرم الخمر وأقام الحد على شاربها من المسلمين، ولكنه لا يقيمه على غير المسلم.

ويرسم القرآن الكريم لنا كيفية التعامل مع غير المسلمين من خلال قوله تعالى: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ**

1. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص695.
2. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب البر والصله، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ص422.
3. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، حديث رقم 2021، ج4، ص372، وقال هذا حديث حسن غريب.
4. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء و البيع، حديث رقم 2076، ص409.

قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة:8،9) [1].

في هاتين الآتيتين يأمر الله المسلمين معاملة من يخالفوهم في دينهم بالعدل ولم يكتف به بل تجاوز إلى الوصية بالبر إليهم.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة:8)، ولقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، فقال تعالى :﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ (النحل:91)ومنه قوله تعالى ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ (الإسراء:34) والإسلام يرجح كفة الصلح والمودة على العداوة والبغضاء فيقول تعالى:﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (الممتحنة:7).

ومما ينتظم في حسن معاملة المسلمين لغيرهم هو ما سوّى به القرآن بين معاملة الوالدين المسلمين والكافرين فقال تعالى:﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (لقمان:14،15).

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ[2]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ:(قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ:إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهْيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ)[3].

---

1. انظر: طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، مطبعة الجهاد،بيروت، ط4، 1380هـ-/1960م، ص258- 286.

2. هي:الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر القرشية التيمية، زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله بن الزبير، وهي ذات النطاقين، أسلمت بعد سبع عشر إنسانا، روى عنها عبد الله بن عباس، وابنها عروة،وغيرهم، توفيت سنة ثلاث وسبعين، انظر: الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج6، ص9.

3. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، حديث رقم2620، ص521.

ومن التسامح في الإسلام إباحته طعام الذين أوتوا الكتاب وذبائحهم والــزواج من نسائهم، فقال تعالى:﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(المائدة:5)[1].

ويرسم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم سماحة الإسلام في التعامل مع غيــر المسلمين في عدة مواقف ومن ذلك:

1. عفو الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة حين دخلها فاتحاً فقال:(**مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟). قَالُوا:خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ:(اذْهَبُوا فَــأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)** [2].

2. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمشركين بالهداية ويدعوهم إلــى الإسلام، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِــمْ.)** [3]، ومن ذلك (**أَنَّ غُلاَمًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وســلم فَمَــرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ فَقَالَ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ.)** [4].

3. أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من إيذاء أهل الذمة وقتلهم فقال صلى الله عليه وسلم :(من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد مــن مسيرة أربعين عاماً) [5].

ب. سماحة الإسلام في الحرب.

إن الإسلام هو دين السلام يؤثر السلم على الحرب فإذا لم يكن بد من الحرب للإبقاء على العقيدة أو على الحياة فالحرب شر لا مندوحة عنه، ولقد دعا الإسلام إلى السلام فلم يستجب خصومه وأبوا إلا الحرب، وصبر المسلمون على أذاهــم،

---

1. انظر: طبارة، روح الدين الإسلامي، ص260.
2. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي،السنن الكبرى ، مجلس دائرة المعارف، ط1، 1344 هـ، كتاب السير، باب فتْحِ مَكَّةَ، حديث رقم18739، ج9، ص118.
3. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم حديث رقم 2937، ص595.
4. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، حديث رقم 5657، ص1217.
5. البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم، حديث رقم6914، ص1450.

فلم يزدادوا إلا عتوا وفسادا في الأرض فلم يكن بد من حربهم [1]، فأذن الله تعالى بعد ذلك للمؤمنين بالقتال فقال تعالى :﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾(الحج:39)،

ويقول تعالى:﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(البقرة:190) فنهى سبحانه وتعالى عن الاعتداء، يقول الإمام الطبري: "يعني قوله ولا تعتدوا، لا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتاب والمجوس ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم" [2].

ولولا أن سلط الله المسلمين على الكافرين يجاهدونهم ويحاربونهم لغلب المشركون على أهل الملل الأخرى، و لاستولوا على معابدهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعاً، و لا لرهبانهم صوامع، و لا لليهود كنائس، و لا للمسلمين مساجد، يقول تعالى:﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ (الحج:40،41)، فالحرب في الإسلام هي رحمة من الله تعالى للمسلمين ولغيرهم، ومن سماحة الإسلام في الحرب أنه شرعه من أجل إحقاق الحق، ونشر العدل، والسمو بالمجتمع في عقيدته وأعماله وأخلاقه، فليس الغرض من الحرب والنصر السيطرة والاستعمار والاستئثار بخيرات البلاد المفتوحة، وتسخير أهلها، ومزاحمتهم في أرزاقهم، بل الغرض إقامة عالم مثالي سعيد[3].

ومن سماحة الإسلام في هذا المجال أنه أوجب على من تحرر روحياً ، أن يحرر غيره من الاستضعاف والبغي والظلم في الأرض، ومن هنا فرض الجهاد

---

1. انظر: الحوفي، أحمد محمد، سماحة الإسلام، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1420هـ -/1999م، (د.ط)،ص71.
2. الطبري، جامع البيان، ج2، ص260.
3. انظر: الحوفي، سماحة الإسلام، ص28.

بالأموال والأنفس تضحيات جساماً ، كجزء من رسالة الإسلام، ابتغـــاء وجـــه الله تعالى، وفي سبيله وحده لا طمعاً في مغنم من عرض الحيـــاة الـــدنيا، و لا بغيـــة الاستعلاء والتجبر في الأرض، ولا لتكون أمة هي أربى من أمة[1].

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجنوح إلى السلم فقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال:61) وقال أيضاً: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء:90).

ومن الانحرافات الفكرية التي وقع فيها كثيـــر مـــن النـــاس فـــي الماضـــي والحاضر، أنهم يستحلون قتال المشركين محاربهم ومستأمنهم ويحتجون بقـــول الله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:191)، وذلك لجهلهم وعدم العلم بكتاب الله تعالى بل أخذتهم العزة بالإثم - فأخذوا يهرفون بما لا يعرفون - يقول الإمام الطبري رحمه الله في هذه الآية: "اقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين، حيث أصبتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم وذلك معنى قولـــه: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ومعنـــى الثقفـــة بالأمر الحذق به والبصر، ويقال إنه لثقف لقف إذا كان جيد الحذر فـــي القتـــال بصيراً بمواقع القتل، وأما التثقيف فهو التقويم، فمعنى الآيـــة ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم وأبصرتم مقـــاتلهم "، نلاحـــظ أن الإمام الطبري صرح بأن الذي يقاتل هو المقاتل عندما قال (اقتلوا أيها المؤمنـــون الذين يقاتلونكم من المشركين)[2].

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل غير المحاربين وعـــن الغـــدر والتخريب، فكان يقول إذا بعث جيوشه: **(فاغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من**

---

1. انظر: الدريني، فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قتيبة، ط1، 1408هـ/1988م، ج2، ص860.

2. انظر: الطبري، جامع البيان، ج2، ص260 – 261.

كفر بالله لا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا و لا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله و سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم)[1].

وعن ابن عمر [2] قال:(**إِنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.)** [3].

رابعاً:العلاقة بين سماحة الإسلام والأمن الفكري:

إن الذين لم يدركوا حقيقة رسالة الإسلام الخالدة، ولم يعترفوا بأن الإسلام هو دين السماحة والعفو والإحسان هم الذين انحرف فكرهم عن جادة الصواب وأخذوا يتخبطون في ظلمات الجهل والإثم، فيكفرون هذا ويقتلون هذا راجين من الله تعالى الأجر والثواب فهيهات لهم ذلك.

ووصل الأمر بهؤلاء الفئة من المجتمع الإسلامي بأن يعادوا كل من يخالفهم ، مسلماًكان أم كافراً، ووصل بهم الانحراف إلى استباحة أموال وأنفس المخالفين و لا يرون في ذلك حرجاً و لا إثماً.

لقد غفل هؤلاء المنحرفون عن الأسس الفكرية لتسامح المسلمين مع غيرهم ومع بعضهم البعض ومن هذه الأسس:

1. اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، روى عن جابر بن عبد الله [4]رضي الله عنه قال:(**مَرَّ بِنَا جَنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقُمْنَا بِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ قَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا.)**[5].

---

1. الحاكم، محمد بن عبد الله ابي ع بد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، ط1، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم8621،ص581، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

2. هو:الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، اسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، شهد الخندق، وغزوة مؤتة، واليرموك، كان كثير الاتباع لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وسبعين، وعمره أربع وثمانون سنه. انظر: الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص236.

3. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ج2، ص73.

4. وهو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، الأنصاري الخزرجي السلمي، من أهل بيعة الرضوان، حدث عنه ابن المسيب، وعطاء، وغيرهم الكثير، توفي سنة 78هـ، وقيل 77هـ، انظر::الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت 748، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط11، 1417هـ/ 1996م ج3، ص189.

5. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم 1311، ص 258.

2.اعتقاد المسلم أن اختلاف النا س في الدين واقع بمشيئة الله تعـالى، الـذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيـ ما يفعل ويدع، يقول تعـالى :﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف:29).

3.إن المسلم ليس مكلف اًأن يحاسب الكافر ين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس له، يقول تعالى ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الحج،69،68) .

4.إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط ويدعو إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين، يقول تعالى :﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة:8)[1].

إن هذه الأسس الفكرية وغيرها من مظاهر سماحة الإسلام تتجسد في قول الله تعالى في حـق نبيـه صـلى الله عليـه وسـلم :﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(الأنبياء:107).

الفصل الثالث:

منهج القرآن في المحافظة على الأمن الفكري.

1.3: الأمور التي دعا إليها القرآن من أجل المحافظة على الأمن الفكري.

1.1.3: الدعوة إلى العلم والتعلم وأثر ذلك في المحافظة على الأمن الفكري.

---

[1]. انظرالقرضاوي، يوسف، من هدي الإسلام فتاوى معاصرة، دار القلم، ط5، 1426هـ/2005م،ج2، ص677-678.

أولاً:مفهوم العلم لغة واصطلاحاً.

أ- العلم في اللغة:هو نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا[1]وعلم الشيء يعلمه علماً عرفه ورجل علّامة أي عالم جداً[2].

ب- العلم في الاصطلاح :هو معرفة الشيء على ما هو به، وبديهيه:ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، وضروريه بالعكس ولو سلك فيه بعقله فإنه لا يسلك، كالعلم الحاصل بالحواس الخمسة ، والمعنى الحقيقي للعلم هو:الإدراك"[3].

ثانياً:معالم الدعوة إلى العلم في الكتاب والسنة.

العلم قيمة من القيم العليا، التي جاء بها الإسلام وأقام عليها حياة الإنسان المعنوية والمادية، الأخروية والدنيوية، وجعله طريقاً للإيمان وداعياً للعمل، وهو المرجح الأول للخلافة في الأرض [4]، فقال تعالى رداً عليهم:﴿**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ،وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة:30،33).

ولقد دعا الإسلام إلى العلم والتعلم ورفع من قيمة العلم والعلماء ويتضح ذلك جلياً من خلال آيات الكتاب العزيز، ومن خلال سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أ- الآيات التي تدعو إلى العلم وترفع من شأن العلماء.

كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالقراءة فقال تعالى:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق:1)، وفي هذه الآية تنويه بشأن القراءة، وأنها السبيل إلى المعرفة والعلم ، ثم إن الأميّة وإن كانت حائلة بين المرء وبين أن يقرأ في كتاب، فإنها لا تحول بينه وبين العلم والمعرفة، فهناك

---

1. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة علم، ج9، ص371.
2. انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ / 1995م، (د.ط) مادة علم، ص467.
3. الكفوي، باب العين، ص610 -611.
4. انظر: القرضاوي، يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1417هـ/1996م، ص122.

كتاب الوجود، الذي يقرأ الإنسان آياته بالنظر المتأمل فيه، والبصيرة النافذة إلى أسراره، وعجائبه ثم هناك التلقي عن أهل العلم ، ممن يقرؤن ويدرسون...فليكن الإنسان قارئاً أبداً، على أية حال من أحواله، قارئاً بنفسه، أو قارئاً متابعاً لغيره [1]، ولقد أمرالله تعالى بطلب العلم فقال:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(النحل:43)، وقال أيضاً :﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾(طه:114)،ولقد بين سبحانه وتعالى أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله تعالى فقال تعالى :﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾(فاطر:28)، يقول ابن كثير:"إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[2].

وإن أهل العلم هم من يشهدون لله تعالى بالوحدانية يقول تعالى :﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(آل عمران:18)يقول ابن كثير "وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام"[3]. وورد في تفسير هذه الآية ما نصه:

" أما شهادة اللّه لنفسه، فقد نطق بها هذا الوجود الذي هو صنعة يديه، والذي يشهد كل موجود فيه، بقدرته، وعلمه، وحكمته ووحدانيته، وإن لم تشهد بها الموجودات لساناً، فقد شهدت بها عياناً واعتباراً، لمن نظر واعتبر..

أمّا من لم يكن له نظر واعتبار، فليأخذ بشهادة أهل النظر والاعتبار.. ليأخذ بشهادة الملائكة، وهم بعض هذا الخلق الذي خلق اللّه، وهم الذين لا يفترون عن عبادته، ولا ينقطعون عن ذكره.. فإن لم يجد لشهادة الملائكة أذناً تسمع، فليستمع إلى شهادة بشر مثله، خلقوا من طينته، ونطقوا بلسانه، وهم:

أولو العلم، الذين نظروا في هذا الوجود، فعرفوا اللّه، وعاينوا آثار قدرته، وعلمه، وحكمته، ووحدانيته. وهذه شهادة لا يردّها عاقل، مهما كان حظه من

---

1. انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن،ج30،ص1624.
2. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص561.
3. نفس المرجع ،ج1،ص361.

العقل.. فإن الأعمى الذي لا يسلم يده للمبصر الذي يقيمه على الطريق، هـو لا محالة ملق بنفسه إلى التهلكة" [(1)].

ويقول الشيخ الشعراوي "ولقد أخذ أولوا العلم منزلة كبيرة لأن الله قد قرنهم بالملائكة"[(2)].

وإن العلماء هم من شهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كذبه المشركون يقول تعالى :﴿**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (الشعراء:197)، وعلماء بني إسرائيل ، إما أن تكون على العموم أو من آمن منهم كعبد الله بن سلام [(3)]، وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين، لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويصدقونهم [(4)]،ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ (الرعد:43)، وقوله تعالى:﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (سبأ:6)،وقال تعالى:﴿**قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾(الإسراء:107)، ولقد مدح الله تعالى أهل العلم بجعل العلم أساساً في التفاضل **بين الناس فقال تعالى** :﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ **(الزمر:9)** **يقول سيد قطب** "وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة.. هذا هو.. القنوت للّه. وحساسية القلب، واستشعار الحذر من الآخرة، والتطلع إلى رحمة اللّه وفضله ومراقبة اللّه هذه المراقبة الواجفة الخاشعة.. هذا هو الطريق، ومن ثم يدرك اللب ويعرف، وينتفع بما يرى وما يسمع وما يجرب وينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات والتجارب الصغيرة. فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة، والمشاهدات الظاهرة، فهم جامعو معلومات وليسوا

---

1. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج3، ص418.
2. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج3،ص1344-1346.
3. هو:عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفا لهم وكان من بني قينقاع يقال كان اسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه و سلم وجزم بذلك الطبري وابن سعد، قال الطبري مات في قول جميعهم بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4،ص 119.
4. انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص117.

بالعلماء.."[1] **ومن ذلك قوله تعالى :﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:43)وقوله تعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم:22)، ويقول تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل:15)، ومن ذلك قوله تعالى:﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(المجادلة:11)ومن ذلك قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت:49).**

وأهل العلم هم من يتسمون بالفكر الآمن المستنير حيث يصفهم بذلك رب العالمين يقول تعالى**﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** (آل عمران:7)، ومنهقوله تعالى :**﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾** (القصص:80).

ولقد زخر القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تدعو إلى العلم وترفع من مقام العلماء ومن ذلك الآيات التي تدعو إلى النظر والتدبر والتفكر وتذم التقليد واتباع الظن وسيأتي الحديث على ذلك في المبحث اللاحق إن شاء الله.

من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى العلم ومدح العلم والعلماء.

لقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم ودعا إليه في كثير من الأحاديث ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)**،[2] ويقول صلى الله عليه وسلم :**(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ.)** [3].

---

1. قطب، سيد، في ظلال القرآن ، ج5، ص3042.
2. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم 300، ص165، وقال صحيح على شرط الشيخين.
3. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى:{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}، حديث رقم3116،ص366.

ويبين صلى الله عليه وسلم أن العلم هو ميزان التفا ضل وخاصة علم الدين حيث يقول صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(**سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ قَالَ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا.**) [2].

ويبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز الحسد أي الغبطة إلا في اثنتين يقول صلى الله عليه وسلم :(**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**)[3].

ويقولالنبي صلى الله عليه وسلم :(**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**) [4].

هذا وقد زخرت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأحاد يث التي ترغب في العلم وتمدح العلماء ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي.

ثالثاً:ما هو العلم الذي دعا إليه الإسلام من أجل المحافظة على الأمن الفكري.

---

1. نفس المرجع ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم5027، ص1093.
2. نفس المرجع ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوْلِ اللهِ تَعَالَى:{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ}، حديث رقم 3383،ص629.
3. نفس المرجع ، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، حديث رقم5026، ص21093.
4. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقة على العبادة،حديث رقم 2685، ج5،ص50، قال الترمذي، حديث غريب، وقد صححه الألباني.

لقد دعا الإسلام إلى العلم النافع الذي ينفع الإنسان في دنياه وفي آخرته لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول :**(اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نفسي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا)** [1].

وإن من العلم ما يطغي صاحبه لأنه لا يستند إلى عقيدة صحيحة ومن هنا جاءت كثير من الدعاوى المنحرفة التي أفقدت كثيراً من المجتمعات أمنها الفكري، فأتى الله بنيانهم من القواعد، مثل الشيوعية والرأسمالية، ومن هذه الدعاوى دعوة الاستغناء بالعلم المادي عن الإيمان، ويدعي أصحاب هذه المقولة المنحرفة أنهم يتحقق لهم من وراء الاكتفاء بالعلم المادي عدة مكاسب وهي:

1. الصحة العقلية والنفسية :لأن عقائد الدين والإيمان بالغيب في ظنهم تسبب لهم قلقاً ذهنياً ناتجاً عن إيمانه بشيء لا يستند إلى دليلٍ علميٍ أو تجربةٍ حسيةٍ.

2. الحرية الشخصية:فإن الإيمان يضع الإنسان في قيود والتزامات تقيد من حريته في الاستمتاع بطيبات الحياة.

3. العمل على رقي الحياة لأن الدين يزهد في الدنيا، ويدير ظهره إليها[2].

ولقد رد فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي هذا الزعم الباطل فقال :"وهذا الزعم الذي نفقت سوقه في الغرب زمناً ثم صدّره إلينا عملاؤه، الهواة والمحترفون، من بعد، ليس له أساس من منطق سليم و لا من علم صحيح و لا من واقع مجرب، فإن مجال العلم غير مجال العلم والإيمان، فالعلم مختص في الماديات والمحسوسات التي تدخلها الملاحظة والتجربة، وأما ما وراء المادة، فليس من وظيفة العلم، إنما هو وظيفة الفلسفة أو الوحي فإذا وجد من رجال العلم من يقول:(لم أجد دليلاً علمياًعلى وجود الله)يقال له لقد عدوت من قدرك، و خنت علمك حيث ورطته فيما ليس من شأنه ..إن العلم منهج صحيح لمعرفة المادة ،

---

1. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ،ج2، ص481.

2. انظر: القرضاوي يوسف، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، ط9، 1410هـ/1990م، ص322،321.

ولكنه ليس منهجاً صحيحاًلمعرفة ما وراء المادة "[1]؛ لذلك فإن العلم لا يقال إلا فيما أدرك ذاته ،والمعرفة قد ت قال فما تدرك آثاره، وإن لم تدرك ذاته لذلك يقال عرف الله، و لا يقال علم الله؛ لأن ذات الله تعالى مستحيلة الإدراك [2].

وإن العلم نتائجه ليست قطعية أو يقينية لأنه قائم على التجربة، والتجربة أساسها الحس والحواس كثيراً ما تخدع.

والعلم ليس خصماً للإيمان، ولا ضد اً له بل هو دليل يهدي إليه، وأما ما يقال إن الانخلاع من الإيمان يؤدي إلى الراحة النفسية فهذا أمر يكذبه الواقع، لما يعيشه العالم الغربي من القلق والأمراض النفسية التي تودي بهم إلى إزهاق أنفسهم.

أما الحرية الشخصية ا لتي يرنو إليها أصحاب الفكر المادي الإلحادي المنحرف، فهي التي جعلت من المجتمعات المادية غابة بهيمية مستسلمة للشهوات والملذات أما ما يفرضه الدين على الإنسان م ن قيود فإنه لا يريد بها عذابه ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع به من الحيوانية الهابطة إلى الإنسانية الصاعدة، فينتصر العقل والإرادة على الشهوة البهيمية [3].

2.1.3: حرية الفكر وأثرها في المحافظة على الأمن الفكري.

إن الإسلام هو دين الحرية الفكرية ولقد جاءت هذه الحرية انطلاقا من مبدأ التكريم لهذا الإنسان يقول تعالى :﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ (الاسراء:70)، ومن أبرز مظاهر التكريم لهذا الإنسان بأن وهبه الله تعالى جوهرة العقل التي يميز فيها بين الخير والشر وبين المضار والمنافع.

لقد حرر الإسلام الفكر الإنساني من الخضوع لغيره وقرر أن أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم، يقول تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات:13)، فلا سلطان لأحد على أحد ولا لفكر على فكر آخر.

---

1. القرضاوي يوسف، الإيمان والحياة ، ص321 وما بعدها.
2. انظر: الكفوي، ص868.
3. انظر:القرضاوي، الإيمان والحياة، ص321-337.

وفرق كبير بين الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام وأرسى أسسها من خلال تربية العقل المسلم تربية إيمانية علمية، وبين الحرية الفكرية التي دعا إليها الملاحدة للتخلص من سلطان الكنيسة والكهنوت، فليس في العقيدة الإسلامية إشكالات تحير الذهن، وليس فيها تعدد للآلهة، وليس فيها أن الذات الإلهية قد حلّت في شخص من الأشخاص ...، بل هو إله واحد الذي خلق الكائنات كلها وحده، وإليه مرجعها وحده لا شريك له و لا معقب لكلماته، فكرة بسيطة واضحة لا يختلف عليها أحد و لا ينبغي أن يختلف عليها عاقل، وليس في الإسلام (رجال دين) كالذين في أوروبا فالدين ملك للجميع ينهلون منه كل على قدر ما تطيقه طبيعته ومؤهلاته الفكرية والروحية، والجميع مسلمون [1]،يقول تعالى :﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾(الأقحاف:19).

ولقد اتضحت مظاهر الحرية الفكرية الإسلامية من خلال كثير من الآيات القرآنية التي تدعو إليها ومن خلال سنة المصطفى عليه السلام، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

1.قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾(الإسراء:89)، فلقد قرر القرآن الكريم في هذه الآية أن الإنسان قد فطره الله تعالى على حرية الرأي والتفكير، ولقد تمثلت هذه الحرية في حب الجدل والحوار [2].

2. قوله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾(سبأ:46).

3. قرر القرآن الكريم أنه لا إكراه في الدين لأنه الدين الذي فرض نفسه بالحجة والدليل ولم يفرض نفسه بالقهر والسلطان، يقول تعالى :﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(البقرة:256).ويقول تعالى :﴿**وَلَوْ شَاءَ**

---

[1]. انظر: قطب، سيد، محمد، شبهات حول الإسلام، دار الشروق، ط16، 1403هـ - 1983م، ص179.

[2]. انظر: محمود، علي عبد الحليم ، التربية العقلية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د.ط)، 1417هـ - 1996م، ص83.

رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُـؤْمِنِينَ﴾ (يونس:99). **والاستفهام في ﴿ أفأنت ﴾ بمعنى النفي؛ أي لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق** [1]**، إذن:فالحق سبحانه خلق الإنسان وسخَّر له كل الأجناس، ولم يجبره على الإيمان، بل يقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:3).**

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحبّاً مخلصاً لقومه وعشيرته، وذاق حلاوة الإيمان، وحزن لأنهم لم يؤمنوا، فينبهه الحق سبحانه وتعالى أن عليه مهمة البلاغ فقط، فلا يكلّف نفسه شَططاً[2].

4. الآيات التي تدعوا إلى النظر والتفكر هي أعظم دلالة على أن الإسلام منح الإنسان حرية التفكير ومن ذلك قوله تعالى:**﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ.. ﴾** (يونس:101).

5. قوله تعالى:**﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾** (الشورى:38)،وقوله تعالى:**﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** (آل عمران:159).

فإن الشورى في الإسلام هي صورة حية من صور الحرية الفكرية في الإسلام وقد جعلها الله تعالى ركيزة من ركائز الحكم في الإسلام فلا استبداد في الإسلام، ولا فرعونية، وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه العزيز صورة من صور الاستبداد الفكري عندما قال فرعون لقومه :**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**(غافر:29).

ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى حرية التفكير من خلال مبدأ الشورى فقد كان دائماً وأبداً يحرص على مشاورة أصحابه والأخذ برأيهم، ومن ذلك مشاورته للصحابة الكرام في غزوة بدر، و إقراره صلى الله عليه وسلم لحرية

---

[1]. انظر: النسفي، مدارك التنزيل،ج2، ص177.

2. انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج10، ص6223.

النقد والاعتراض عندما أشار الحباب[1]، ــ رضي الله عنه ــ على النبي صلى الله عليه وسلم بمكان النزول قال ابن إسحاق **فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال" بل هو الرأي والحرب والمكيدة" فقال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم تغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القلب الذي نزل فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية)** [2].

ويجب التنبه إلى أن هذه الحرية وهي حرية النقد والاعتراض لها ضوابط وشروط لا يجوز الخروج عنها، وهي:

1. أن يكون النقد والاعتراض على أمر لم يرد فيه نص من القرآن ولا من السنة لذلك نجد الصحابي الجليل يقول للنبي عليه السلام :(**أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة).**
2. أن لا يكون النقد و الاعتراض لمجرد الهوى أو الرغبة في إثبات الذات أو الوصول إلى مكاسب دنيوية.
3. وأن لا يكون النقد و الاعتراض لمجرد غلبة صاحب الرأي ومنازعته وإحراجه.
4. أن يكون الهدف من النقد والاعتراض بيان وجه الحق والصواب.

---

1. الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ثم السلمي قال ابن سعد وغيره شهد بدرا قال وكان يكنى أبا عمر، قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين ومن شعر الحباب بن المنذر... ألم تعلما لله در أبيكما... وما الناس إلا أكمه وبصير... أنا وأعداء النبي محمد... أسود لها في العالمين زئير... نصرنا وآوينا النبي وماله... سوانا من أهل الملتين نصير
انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص10.

2. ابن هشام،أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، ت 213، السيرة النبوية،مكتبة الإيمان، ط 1، 1416هـ/ 1995م،ج2،ص180.

5. أن يحسن الناقد أو المعترض عرض وجهة نظره ملتزماً أدب الإسلام في الحوار وفي استعمال الألفاظ والمعاني.

6. أن يكون النقد والاعتراض من باب النصيحة لا الفضيحة.

7. أن لا يؤدي النقد والاعتراض إلى التشبّث بالرأي والتعصب له [1].

وفي غزوة أحد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي الشباب وخرج إلى خارج المدينة من أجل ملاقاة المشركين وحصل ما حصل مع أن رأيه كان بأن يبقى في المدينة ولكنه لم يكن يوماً من الأيام مستبداً برأيه، مع أصحابه بل كانت الشورى منهاجه في الحياة.

وقد يقول قائل إن الإسلام قيد الحرية الفكرية من خلال الحكم على المرتد عن دينه بالقتل، والجواب عن هذه الشبهة أنه لا بد من التمييز بين أنواع الردة ومعرفة مدى تأثير كل نوع منها على حرية الفكر، والردة تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الذين يعتنقون الإسلام عن قناعة وجدانية بحرية كاملة ثم يرتدون عنه لشبهة عارضة، وردة هذا النوع فيها تعد على حرية الآخرين من أتباع هذا الدين، وذلك لما يترتب على ردته من أمور، مثل الاستخفاف والسخرية بالدين والتمرد والخروج على القوانين المعمول بها في الدولة التي تعتنق هذا الدين، وفتح باب طعن الأعداء في الدين وشرعه، التي بمجموعها تكون سبباً في زعزعة الاستقرار، وهيبة الدولة المسلمة، واضطراب نفوس الناس من أتباع هذا الدين فيها. لذلك وجب على الأمة ممثلة بنظامها محاربة الردة من أجل المحافظة على حرية مواطنيها كما حدث في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2].

النوع الثاني: الذين يعتنقون الإسلام لأغراض خبيثة ثم يرتدون عنه علانية وردة هؤلاء اعتداء على حرية الفكر، وذلك لعبثهم وتمرير مخططات أسندت إليهم من أعداء الدين أو من أنفسهم لتشويه حقيقة الإسلام والطعن فيه من الداخل وهذا النوع مارسه اليهود فقال تعالى عنهم: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي**

---

1. انظر: محمود، التربية العقلية، ص59.

2. انظر: الرعود، عبد بن عيد بن سليمان الرعود، حرية الفكر دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي والديمقراطية الغربية، رسالة دكتوراة جامعة أم درمان السودان، 1998م، ص281.

أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْــهَ النَّهَــارِ وَاكْفُــرُوا آَخِــرَهُ لَعَلَّهُــمْ يَرْجِعُــونَ ﴾ (آل عمران:72).

فمن الواضح أن الارتداد بنوعيه تعد على حقوق الآخرين، والتعــدي علــى حقوق الآخرين باتفاق العقلاء يحد منحرية الفكر لذلك ،وجب على الأمة المسلمة تنفيذ أحكام الردة على المرتدين حفاظا على حرية المجتمع الإسلامي وأفكاره[1].

3.1.3: الدعوة إلى التوازن بين العقل والنقل.

إن الدعوة إلى الموازنة بين العقل والنقل ودرء التعارض بينهما هي أســاس من أسس المحافظة على الأمن الفكري؛ لأن من أسباب الانحراف الفكري، المبالغة في تحكيم العقل وجعله هو السلطان والقائد، حتى وصل أصحاب هذا الرأي إلــى قناعة تامة بعدم الإيمان إلا بما يدرك عقلياً ، أو يثبت وجوده علمياً ، وإن ورد فــي ذلك نص قرآني أو سنة صحيحة ، أوَّلوا هذه النصوص بما يتوافق مــع قناعــاتهم وإن هذه الدعوة لا تعد دعوة جديدة وإنما تمتد جذورها إلى الملاحدة الذين قــالوا بتعارض الدين مع العقل فأنكروا وجود الله تعالى وآمنوا بالطبيعــة لأنهــا شــيء محسوس مشاهد.

ولقد جاء القرآن الكريم هاديا للعقل ومرشدا في كثير من المسائل، ولا يوجــد أدنى شك أن الإسلام هو دين العقل لأن القرآن الكريم هو كتاب العقل، ولا يعنــي ذلك بأن يكون العقل هو القائد وليس الدين، لأن ذلك قلب للأوضاع وانحراف عن الصراط المستقيم[2]. ومن المسائل التي جاء الدين فيها هاديا للعقل ما يلي:

1.ما وراء الطبيعة :أي العقائد الخاصة بالله سبحانه وتعالى أو برسله الكــرام عليهم السلام، وباليوم الآخر وبالغيب الإلهي على وجه العموم.

2. مسائل الأخلاق:أي الخير والفضيلة، وما ينبغي أن يكون عليــه الــسلوك الإنساني ليكون الشخص صالحاً.

---

[1]. انظر: الرعود ، حرية الفكر دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي والديمقراطية الغربية، ص 282.
[2]. انظر: محمود عبد الحليم ، الإسلام والعقل، دار المعارف، ط3، 1988، ص17.

3. في مسائل التشريع الذي ينتظم به المجتمع وتسعد به الإنسانية، وجاء الدين هاديا للعقل في هذه المسائل بالذات، لأن العقل إذا بحث فيها مستقلاً بنفسه فإنه لا يصل فيها إلى نتيجة يتفق عليها الجميع، ومعنى ذلك :أنه لو ترك الناس وعقولهم في هذه المسائل فإنهم يختلفون ويتفرقون فرقا عديدة، ويتنازعون ، ولا ينتهي الأمر بهم إلى الوحدة والانسجام، ولا إلى الهدوء والطمأنينة[1].

و لا ينكر أحد أن القرآن الكريم يطالب بالنظر والتفكر والتدبر، يقول تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (المؤمنون:68)، والواقع أن القرآن الكريم لا يستشير الإنسان في أي قضية من القضايا التي جاء بها الوحي، ولا يحتكم الوحي إلى الإنسان باعتباره حكما، في أي مبدأ من مبادئه، ولا يطلب منه مشورة في أي قاعدة من القواعد التي شرعها.

"وكل ما ذكر في كتاب الله تعالى من الأمر بالتفكر والنظر والتدبر، إنما أراد به الاعتبار، وأراد أن يقول:تفكروا لتروا أن ذلك هو الحق، انظروا لتعلموا أن ذلك هو الخير، أما إذا رأيتم غير ذلك:فإنما العيب في بصركم أو بصيرتكم" [2].

يقول تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (النساء:65)، ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:**(لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم " يمسح على ظاهر خفيه ")** [3].

و لا يعني ذلك أن الإسلام قيد العقل الإنساني تقييداً تاماً بل سبق أن أشرنا إلى أن الإسلام جعل للإنسان حرية فكرية، وخاصة فيما لم يرد به نص شرعي ومن هنا كان الاجتهاد وما زال مصدراً من مصادر الشريعة الإسلامية.

ومما يدل على أن الإسلام اعتنى وفق دور الإنسان في رفعة القواعد من الحضارة الإنسانية، أن التحريم في الإسلام لم يأت مصادراً للإرادة الإنسانية

---

1. انظر: محمود عبد الحليم ، الإسلام والعقل ، ص18.
2. نفس المرجع ، ص21- 24.
3. السجستاني، سليمان بن الأشعث أبي داوود، سنن أبي داوود، دار الفكر، (د،ط،) كتاب الطهارة، باب كيف المسح، حديث رقم162،ج1،ص42، قال الشيخ الألباني:صحيح.

الحرة، أو تعويقاً صالمها عن تحقيق الذات الإنسانية الكاملة، أو اعتقالاً لملكاته تعبأن عن وظائفها التي خلقت من أجلها، ولم يكن التحريم أيضاً تضييقاً على الناس في معايشهم وإيقاعهم في الحرج، بل هو ضرب من التدبير والتوجيه الإلهي الحكيم وقاية للإنسان من أن تستبد به الشهوات، وحينئذ تتملكه الغفلة وهي فقدان الوعي للذات الإنسانية، بما يصرفه عن العمل الصالح، وهذا هو " الخسار" أو "الخسر" [1]،يقول تعالى :﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾(العصر:1،2) ويقول تعالى:﴿**وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا**﴾ (فاطر:39).

ومن الأدلة على أن التحريم في الإسلام جاء موافقا للعقول السليمة ولم يأت صادًّا للنفس عن مشتهياتها، قوله تعالى :﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ (الأعراف:157).

وليس في الخبائث شيء يشتهى لا عقلاً ولا طبعاً، وفي تعبير القرآن بلفظ "الخبائث" إيحاء قوي، ولفت للعقل إلى طبيعة المحرمات من أنها تحمل في طياتها بذور خبثها وفسادها، مما يجدر بالإنسان العقول الواعي، أن يحرم هذه "الخبائث" على نفسه عقلاً قبل أن يحرمها الله عليه شرعاً وفي هذا إيماء أيضاً إلى أن كلمة العقل لا تنافي أحكام الشرع،وعلى هذا، فالمعاني التي قام عليها التحريم في الإسلام تستوجب الانكفاف التلقائي، أو الانتهاء الذاتي بحكم العقل، والطبع السليم، قبل أن يستوجبه نهي الشرع، ولكن ليس معنى هذا أن حكم العقل مقدم، بل المراد أن كل ما جاء في الشرع، لا نجد له في منطق العقل ما ينافيه! [2].

ولقد صنف الإمام ابن تيمية [3]،رحمه الله كتاباً قيماً بعنوان:"درء تعارض العقل والنقل"،رد فيه على من يقولون بهذا التعارض من المفكرين الذين سيطر على عقولهم أن كل ما جاءهم عن غيرهم من الأمم الأخرى حق لا باطل فيه،

---

1. الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ص475.

2. انظر: الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص475- 477.

3.هو:أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية:الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر.ولد سنة 661، وتوفي سنة728 هـ، من تصانيفه، (الجمع بين النقل والعقل) و(شرح العقيدة الأصفهانية). انظر: الزركلي الأعلام، ج1، ص144.

وأن ما جاءهم عن نبيهم متشابه يحتمل التأويل فوقف ابن تيمية من ذلك الزعم مبينا الأسباب الكامنة وراء ذلك، ومن أهمها:

1. ظن بعض المفكرين أن ما عند أرسطو من تصورات عقلية عن الله، وعلاقته بالعالم، صحيح لا خطأ فيه، قياساً على ما عند اليونان من العلم الرياضي والطبيعي، ولما قاسوا إلهيات أرسطو على ما في القرآن عن الله وصفاته وجدوا التعارض قائماً.

2. جهل هؤلاء المفكرين بالميراث النبوي المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة.

3. عدم التفرقة في كثير من الأحيان بين العقل القطعي الصريح الدلالة وبين ما يسميه الناس معقولات أو دلالة عقلية فليس كل ما يراه الناس معقولاً يكون قطعي الدلالة، وليس كل ما يراه الناس شرعاً وشريعة يكون صحيحاً متناً أو سنداً أو استنباطاً [1].

نعم لقد واجه ابن تيمية رحمه الله في كتابه بعض أعلام الفلسفة الإسلامية مواجهة عنيفة، كابن سينا والرازي، ولكنه كان حريصاً على أن يقرر لطلابه أن مناقشة المخالفين لا تعني إخراجهم من حظيرة الإيمان، أو العدوان على معتقداتهم القلبية، وهو يقول صراحة "والذي نختاره ألا نكفر أحداً من أهل القبلة "، وهذا الاختيار هو ما كان عليه أعلام الأئمة، فأبوالحسن الأشعري يقول :"اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء، ضلل فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض، فصاروا فرقاً متباينين، إلا أن الإسلام يجمعهم" [2].

وتجدر الإشارة إلى ما كتبه الإمام الراغب الأصفهاني، في تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الأخر فقال :"إن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، يقول تعالى ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ (المائدة:15). وأيضاً

---

1. انظر: الجليند، محمد السيد، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، مؤسسة الأهرام، ط1، 1409هـ /1988م،ص13- 14.
2. انظر: الجليند ، درء تعارض العقل والنقل، ص8.

فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده، فإن لم يكن زيت لم يكن يحصل السراج، وما لم يكن سراج، لم يضيء الزيت، قال تعالى :﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور:35)، ثم قال :واعلم أن العقل قليل الغناء أي النفع لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الأشياء دون جزئياتها ...فلا يعرف العقل مثلاً أن لحم الخنزير والدم والخمر محرم، ... و أن لا تنكح ذوات الأرحام، وأن لا تجامع المرأة في حال الحيض، فإن أشباه ذلك لا سبيل إليها إلا بالشرع ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل ، ولأجل أن لا سبيل للعقل إلى معرفة ذلك قال تعالى:﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:15)" [1]. وقال تعالى :﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (طه:134).

2.3: الأمور التي نهى عنها الإسلام من أجل المحافظة على الأمن الفكري.

1.2.3: النهي عن اتباع ما يتوصل إليه بالظن.

والظن في اللغة من: "ظن والظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين:يقين وشك.فأما اليقين:فقول القائل:ظننت ظناً أي أيقنت، قال تعالى :﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:249) والأصل الآخر :الشك، يقال:ظننت الشيء إذا لم تتيقنه، ومن ذلك الظنة:التهمة، والظنين:المتهم "[2].[3].

---

1. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة(د.ط)، 1983م، ص73- 75.

2. ابن فارس، باب الضاد في المضاعف، ص597.

3.يقول تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ }، (سورة ص:27).

والظن في الاصطلاح :" هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان" [1].

والظن المنهي عنه أو عن اتباع ما يتوصل إليه به، هو الذي بمعنى الشك، ولقد ذم سبحانه وتعالى هذا النوع من الظن في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى:﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾(الأنعام:116)، والخرص هو الحزر، ومنه خرص النخل، وهو حزر ما عليها من تمر [2]، والمعنى أنك إذا اتبعت الناس فسوف يضلونك، لأنهم لا يملكون دليلاً علمياً، ولا حقاً يقينياً[3].

فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم، فأيمانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق، بل غايتهم أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً[4].

ويقول تعالى:﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** ﴾(الأنعام:148)، والمعنى أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إن كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئاً، فإنها باطلة[5].

ويقول تعالى:﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾(يونس:36).

والمعنى:وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظناً ، أي إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته، بل هم منه في شك و ريبة،﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾، أي إن الشك لا يغني من اليقين شيئاً ، ولا يقوم في شيء مقامه، ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين[6].

---

1. الجرجاني، التعريفات، باب الظاء، ص187.
2. انظر: ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ،ج2، ص174.
3. انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي،ج7، ص3896.
4. انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص233.
5. انظر: نفس المرجع ، ص241.
6. انظر: الطبري، جامع البيان، ج7، ص153.

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع الظن، فقال صلى الله عليه وسلم:(**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**) [(1)].

وروي أن الرسول صلى الله عله وسلم مر في نخل - فرأى قوما يلقحون النخل - فقال:(ما يصنع هؤلاء؟)، قالوا:يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى، فقال:(أظن ذلك يغني شيئاً)، فبلغهم فتركوه، فنزلوا عنها، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :(**إنما هو الظن. إن كان يغني شيئاً فاصنعوه. فإنما أنا بشر مثلكم. وإن الظن يخطئ ويصيب. ولكن ما قلت لكم قال الله - فلن أكذب على الله**) [(2)].

ولقد دعا الإسلام إلى الأخذ بالحقائق التي يتوصل إليها عن طرق النظر في الأدلة والبراهين لأن ذلك معناه الاهتداء إلى الحق ومعرفة الحقيقة، ومن الأدلة على ذلك أن الإسلام لا يقهر أحدا أو يجبره على علم أو معرفة مسلّمة دون دليل وبرهان، يقول تعالى :﴿**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**﴾ (الإسراء:107، 108)[(3)].

وحاصل معنى الآيتين :أن الذين لم يؤمنوا بالقرآن العظيم، هم من أغمضوا أعينهم عن الدلائل والبراهين الساطعة، لجهلهم و اتباعهم الأهواء لأنهم لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله و لا بأنبيائه، فلا تبال يا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك، فسواء آمنوا به أو امتنعوا عنه لا يزيده ذلك ولا ينقصه، فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له، وخضعوا عند تلاوته عليهم خضوعا ظهر أثره البالغ بكونهم يخرون على أذقانهم سجدا لله تعالى[(4)].

ولقد أبطل سبحانه وتعالى المحاججة والمجادلة بغير دليل وبرهان، فقال تعالى:﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا**

1. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى، عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ،حديث رقم 6066،ص1289.
2. القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، دار الفكر – بيروت، كتاب الرهون، باب تلقيح النخل، حديث رقم 2470،ج2،ص825،(صححه الألباني).
3. انظر: محمود، التربية العقلية، ص51.
4. انظر: الشوكاني، فتح القدير،ج3،ص264.

بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(البقرة:111)، وقال تعالى :﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ (الأنبياء:24).

والذي يعطل العقل عن التفكير و يحثّه على اتباع الظن هو إتباع الهوى حيث نهى سبحانه وتعالى عن اتباع الهوى لأنه "منشأ الضلال في الفكر واقتراف المحرم، وملابسة المنكر، ولخطورة هذا المنحنى، نرى القرآن يعالجه بأسلوب يدل على خطورته، فنراه يوجه النهي صريحاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى:﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الجاثية:18).

وفي آية أخرى يقول تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾ (الرعد:37).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف يوجّه خطاب إلهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لينهاه عن اتباع أهواء الضالين، على الرغم من أنه معصوم بل من المحال أن يأتي منه ذلك؟إن السر في ذلك هو تضمين الخطاب معنى "التهديد" لخطورة هذا الشأن المخاطب به، وهو تهديد موجه في واقع الأمر إلى أمته، ولا يتخذ القرآن الكريم هذا الأسلوب إلا فيما يتعلق به شأن خطير يمس الصالح العام، أو مصير الأمة، أو كيانها المعنوي، أو يقر باطلا، أو يقطع سبيل الحق، ليوقظ وعي الإنسان بأخطار ذلك، من قبل أنه إذا خوطب بالانتهاء عنها من لا يعقل أن يتصور منه، فلأن يكون مخاطباً بهذا الانتهاء من يتوقع منه ذلك من باب أولى، توعية وتبصرة، وهو أسلوب بالغ الأثر في معالجة النفس الإنسانية، وإيقاظ وعيها "[1].

مما سبق يتضح لنا مدى خطورة اتباع الظن أو ما يتوصل إليه بالظن على الأمن الفكري لدى الإنسان.

2.2.3: النهي عن التقليد الأعمى.

---

[1]. الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ج2، ص474- 475.

والتقليد:"هو اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر أو تأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة و لا دليل "[1].

فالتقليد هو المانع للعقل من الانطلاق، والمعوق عن التفكير، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يخلصون للحقائق، ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتمحيص، فيأخذون الأحسن، ويدعون غيره[2].

يقول تعالى:﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (الزمر:17،18).

ويندد بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم، ويجمدون على القديم المألوف ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم[3].

يقول تعالى:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ، وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة:170، 171)، ولقد بين الإمام البيضاوي من خلال هذه الآية الفرق بين التقليد الأعمى وبين الاتباع السليم فقال ما نصه:" **نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام ﴿أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الواو للحال أو العطف والهمزة للرد والتعجيب. وجواب لو محذوف أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما**

---

1. الجرجاني، التعريفات، باب التاء، ص90.
2. انظر: سابق، سيد، إسلامنا، دار الفكر، بيروت، ط2، 1402هـ/ 1982م،ص20.
3. انظر: نفس المرجع، ص20.

اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليده بل إتباع لما أنزل الله." [1].

ويقول تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ (الزخرف:23).

أي ليس" هذا شأن هؤلاء المشركين وحدهم، بل هو شأن أهل الضلال جميعاً في الأمم السابقة، ما جاءهم من نذير إلا تلقوه بهذا القول الضال المضل :﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا﴾هكذا يقيم الضلال له مجرى آسناً يتوارد عليه من منبعه إلى مصبه، أصحاب العقول السقيمة، والنفوس الخبيثة، كما يسقط خسيس الطير على الجيف.

واختصاص المترفين بالذكر هنا، لأنهم هم الذين يقومون دائماً في وجه كل دعوة تخرج بالناس عما هم فيه من حال إلى حال"[2].

ويعرض القرآن الكريم للعقول النتيجة والمصير الذي يؤول إليه المقلدون بسبب تقليدهم الأعمى، و اتباعهم الضال، يقول تعالى:﴿**حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآَتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:38).

يمقت القرآن مرة أخرى التقليد الأعمى من خلال براءة المتبوعين من الاتباع وندم الأتباع وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا من أجل أن يتبرؤا من هؤلاء [3]، يقول تعالى:﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾(البقرة:166،167).

والمعنى أنهم تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا بعد ما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبونهم ليشفوا غيظهم من

---

1. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج1، ص447.
2. الخطيب، تفسير القرآني للقرآن، ج5، ص121.
3. انظر: أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص153.

رؤسائهم الذين خذلوهم ولتحصل للرؤساء خيبة وانكسار كما خيبوهم في الآخرة[1].

ولكن هيهات لهم الرجوع ﴿**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار**﴾ لأنهم لم يستخدموا هذه العقول ولم يفقهوا بها الفقه السليم بسبب هذا الإتباع الأعمى و الانقياد المنحرف، الأمر الذي يجعلهم يطلبون زيادة في العذاب للمتبوعين [2]﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ،رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب:67، 68).

يقول الفخر الرازي:" **فيتحسرون ويندمون حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة، لحصول علمهم بأن الخلاص ليس إلا للمطيع. ثم يقولون:إِنَّا أَطَعْنَا سادَتَنا وَكُبَراءَنا يعني بدل طاعة اللّه تعالى أطعنا السادة وبدل طاعة الرسول أطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات وأكبر الأكابر فبدلنا الخير بالشر، فلا جرم فاتنا خير الجنان وأوتينا شر النيران، ثم إنهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين "[3]،ويقولون:﴿ رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾.**

فهكذا يتضح لنا كيف يكون التقليد الأعمى من ألدّ أعداء الأمن الفكري لأن التقليد الأعمى والاتباع الضال على غير علمٍ لا هدى هو الذي أودى بهؤلاء الكفار إلى المهالك فندموا وتحسروا حيث لا ينفع الندم ، فحري بالإنسان المؤمن أن يعمل عقله ويتفكر ويتدبر من أجل الوصول إلى الحقيقة المنشودة، وأن يذعن للحق الثابت بالبرهان والدليل وإن عجز فكره عن استيعابه.

3.2.3: النهي عن الغلو في الدين:

والغلو في اللغة :"هو تجاوز الحد يقال غلا في الدين والأمر يغلو غلوا جاوز حده "[4].

---

1. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج2، ص98.
2. انظر: أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص153.
3. الرازي، مفاتيح الغيب،ج13، ص233.
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة غلا، ج10، ص112.

والغلو في الاصطلاح :"هوبالمبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد "[1]

وقد نهى سبحانه وتعالى عن الغلو في الدين فقال تعالى :﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ (النساء:171) قال الإمام الطبري:"يعني جل ثناؤه ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ يا أهل الإنجيل من النصارى ﴿**لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾ يقول:لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قيلكم في عيسى انه ابن الله،قول منكم على الله غير الحق؛لأن الله لم يتخذ ولدا فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابناً. وأصل الغلو،فيكل شيء مجاوزة حده الذي هو حده . يقال منه في الدين :غلا فهو يغلو غلوا " [2]، ويقول تعالى:﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ (المائدة:77)، فقدنهاهم سبحانه عن الغلو في دينهم ، من مجاوزة الحد كإثبات الإلهية لعيسىعليه السلام، كما يقول النصارى ، أو الحط من مرتبته العلية ـ سبحانه عما يقولون ـ وهو قول اليهود، فإن كل ذلك من الغلو المذموم وسلوك طريقة الإفراط أو التفريط ، واختيارهما على طريق الصواب وكلمة "غير" منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف، أي غلواً غير غلو الحق، وأما الغلو في الحق بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه، واستخراج حقائقه فليس بمذموم [3]، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في الدين في كثير من الأحاديث ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :(هلك المتنطعون)[4]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول:(**لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِى الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)** [5].

---

1. ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، فتح الباري، دار ابن الجوزي 1422،ط2، ج2، ص591.
2. الطبري جامع البيان، ج4، ص46.
3. انظر:الشوكاني، فتح القدير،ج2، ص65.
4. النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.ص462.
5. السجستاني، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب الحسد،حديث رقم 4604،ج4، ص276. (إسناده حسن).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة فقال من هذه ؟ قالت هذه فلانة تذكر من صلاتها قال :**(مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ)** [1]،
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :**(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)** [2]،والغلو في الدين ينقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

الأول:الغلو الكلي الاعتقادي.

الثاني:الغلو الجزئي العملي.

والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي الغلو بكليات الشريعة، وبمسائل الاعتقاد ، مثل الغلو في الولاء والبراء كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم أو الغلو في البراء من المجتمع العاصي، ومثل الغلو في التكفير ؛ كالتكفير في المعصية [3]، فمن أسباب نشوء الفرق:غلوها غلواً كلياً اعتقادياً ومن الأوصاف التي تجتمع عليها فرق الغلو وصفان يستنتجان من حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث روي عنه أنه قال للرجل الذي اعترض على قسمته (مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا - قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَاد) [4].

والوصفان، هما:

1. عدم فهم القرآن دون فقه (لا يجاوز حناجرهم).
2. التكفير، ويضم بعضهم إلى التكفير استحلال الدماء [5].

---

1. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ، حديث رقم43، ص13.
2. نفس المرجع، كتاب الإيمان، باب الدِّينُ يُسْرٌ، حديث رقم39، ص12.
3. انظر: اللويحق، عبدالرحمن بن معلى ، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، رسالة دكتوراة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1419هـ / 1998م، ج1، ص24.
4. البخاري، الجامع الصحيح كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، حديث رقم 3344، ص 682.
5. انظر: اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ج1، ص25.

وأما الغلو الجزئي العملي فهو ما كان متعلقاً بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة العملية سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح،وذلك مثل :قيام الليل كله.

وإذا كان الغلو الجزئي العملي مرتبطاً بعقيدة فاسدة انتقل إلى كونه غلواً كلياً اعتقادياً، وذلك مثل من يعتزل مساجد المسلمين؛ لأنه يراها مساجد ضرار، فهذا غال غلواً كلياً اعتقادياً [1]. نخلص مما سبق أن الغلو في الدين يعد انحرافاً للفكر الإنساني ومجاوزة لحدود منهج الوسطية في الإسلام، والذي سبق الحديث عنه في الفصل الثاني من هذا البحث.

وإن للغلو في الدين أسباباً وآثاراً كثيرة، يطول الكلام بذكرها، وليس ذلك موضوعاً لهذا البحث، ومن أهم هذه الأسباب الذي يعد من الجذور الفكرية لمشكلة الغلو في الدين هو الجهل بمعنى انعدام العلم أو قصور العلم والسبب الآخر هو:الاختلال في المنهج [2]، لذلك فإن التعصب والتشدد في أمور الدين يرجع إلى الفهم الخاطئ لأحكام دين الإسلام، فيجب عدم اتباع أصحاب الآراء المتطرفة الذين يتشددون في المطالبة بتطبيق أحكام الدين ويطلقون الأحكام والفتاوى جزافاً، من غير علم ولا دليل، وأيضاً يجب عدم اتباع الفئة الأخرى المفرّطة الذين يطالبون بالتخلص من أحكام الدين الإسلامي بالأخذ بالعلمانية تقليداً للغرب بقصد التقدم الحضاري، فسعادة الإنسان لا تتحقق إلا إذا طبق هذا الدين تطبيقاً صحيحاً، والتطبيق الصحيح لا يتم إلا إذا كان ناتجا عن الفهم الصحيح لدين الله بلا جمود في التفكير أو تعصب في الرأي وذلك من غير إتباع الهوى في القول[3]، [4].

4.2.3: النهي عن الخوض في الغيبيات.

---

1. انظر:نفس المرجع، ج1، ص25.
2. انظر: نفس المرجع، ج1، ص41.
3. انظر: حماد إبراهيم طه، التطرف الفكري بشقيه ووسطية الإسلام، دار الفكر العربي، ط1، 1421هـ/2000م، ص48.
4. ومن أهم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وأفضلها بحسب اطلاعي هو كتاب (مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب، الآثار، العلاج) اللويحق.

لقد نهى سبحانه وتعالى عن الخوض في أمور الغيب وبين تعالى أن علم الإنسان علم عاجز وقاصر فقال الله تعالى رداً على الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح :﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (الإسراء:85) [1].

ولقد بين سبحانه وتعالى أنه لا يعلم الغيب إلا هو ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (الأنعام:59) وقال تعالى:﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ (النمل:65).

ومن ذلك أنه سبحانه وتعالى نفى عن نبيه صلى الله عليه وسلم معرفة الغيب فقال تعالى﴿**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الأنعام:50) وقال أيضاً﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف:188) .

وقد بين سبحانه وتعالى أن من صفات عباده المتقين الإيمان بالغيب فقال تعالى:﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾(البقرة:1،3).

فالخلاصة في هذا الأمرأن:الطريق الوحيد لمعرفة الأمور الغيبية هو :الوحي ولا مجال للعقل الإنساني في الخوض في هذا الأمر ؛ لأن العقل البشري عاجز عن إدراك القضايا الغيبية بنفسه ؛ لأنه ليس الطريق المعصوم لمعرفة ما في عالم الغيب وإنما الطريق المعصوم هو الوحي الإلهي . ومن هذا المنطلق كان العقل بحاجة إلى الوحي كونه النور الذي ينير له الطريق في الحياة ليسير الإنسان به

---

[1].عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فال:(كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح فقال بعضهم :لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه فقالوا:يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال :(ويسألونك عن الروح). رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه، حديث رقم 7297، ص1529.

ثابت الخطى ثم ينبه سبحانه وتعالى الإنسان إلى أن العقل له حدود يقــف عنــدها إدراكه لأنها فوق استعداده وطاقته فلا يجوز له أن يتطاول في فكره ليــد رك ذات الخالق سبحانه يقول تعالى **لَا:﴿تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّ طِيــفُ الْخَبِيرُ﴾** (الأنعام:103) وبذلك يكون الدين الحنيف قد صان الطاقة العقلية من أي تبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل لهذا العقل البشري لأن يحكم فيـ ها بالصواب دون الوحي، وأعطاه نصيبه من المعرفة فيها بالقدر الذي يلبي الميل والحاجة [(1)].

5.2.3: تحريم ما يضر بالإنسان.

لقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير ممن خلق وأنعم عليه بالنعم التي لا تعد ولا تحصى يقول تعالى :**﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُــورٌ رَحِيمٌ﴾** (النحل:18).

ومن أكبر هذه النعم نعمة العقل فلقد حرم الله تعا لى كل ما يضر بهذه النعمة ومن ذلك تحريمه للخمر يقول تعالى :**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْــرُ وَالْمَيْــسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِــنْ عَمَــلِ الــشَّيْطَانِ فَــاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُــمْ تُفْلِحُــونَ﴾** (المائدة:90)، وأجمل ما قرأت في تفسير هذه الآية ما قاله الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى حيث قال:"إن الله تعالى أراد أن يضمن سلامة أشياء كثيرة من أجــل أن يقوم بوظيفة عمارة هذه الأرض ومن ذلك سلامة عقله فلا يجني عليه بما يــستر آلية الاختيار بين البدائل، فهو حينما حرم الخمر ، منع عن الإنسان ستر العقل ذلك أن ميزة الإنسان عن الحيوان هي العقل وإن الإنسان ليحفظ حياته بالعقــل ، أمــا الحيوان فيحفظ حياته بالغريزة ، لذلك تجد الحيوان عندما يتعرض للاعتــداء فــلا يملك إلا ردا واحدا وهو مقابلة الاعتداء بالا عتداء، أما الإنسان فهو يختــار بــين بدائل إما أن يضرب أو يقتل أو يسامح ، وهكذا نجد أن الغريزة هي التي تعــصم الحيوان والعقل هو الذي يعصم الإنسان ، والغريزة الحيوانية لا تختل أما الإنسان إذا عطل عقله فإن غريزته لا تحميه لأنها غير مؤهلة لحمايته ، لذلك نجــد الــذي

---

[1] . انظر: أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص162-164.

يطمس عقله قد وضع نفسه في مرتبة أقل من الحيوان ، لذلك حرم الله ا لخمر لأنها تستر العقل وكل ما يستر العقل خمر ولو كان أصله حلال" [1].

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر يقول صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يـــدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة) [2].

فكل ما يضر بعقل الإنسان إن كـــان خمــراً أو غيـــره مثـــل (المخـــدرات، والحشيش، والأفيون) فهو حرام لاشتراكهما بنفس العلة وهي:الإسكار.

مما سبق يتضح لنا كيف حافظ الإسلام على أمن الإنسان في فكره من خـــلال إباحته كل ما ينمّي الفكر الإنساني ويرتقي به نحو المثل العليا وتحريمه كـــل مـــا يضر بالفكر الإنساني ويهوي به إلى الرذائل والانحطاط.

[1] .الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج6، ص3367 -3369 .

[2] . النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الأشربة، باب بَيَان أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ،ج2، ص200.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث بهذه الصورة التي لم تخلُ من النقص الذي هو من طبيعة الإنسان.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

1. تعد المدرسة العقلية في التفسير، هي الرائدة في معالجة القضايا الاجتماعية والفكرية من خلال تفسير القرآن الكريم.
2. إن القناة الرئيسة لأمن الفكر الإنساني، هي العقيدة الإسلامية الصحيحة.
3. إن الأمن الفكري هو صمام الأمان لأنواع الأمن الأخرى: الأمن الاجتماعي، والأمن السياسي، والأمن الاقتصادي.
4. إن من أهم الأسباب التي أودت بحياة الأمة الإسلامية، وحالت بينها وبين النهضة في هذا الزمان هو ما يسمى بالغزو الفكري، الذي وجد له أرضاً خصبة في أمتنا التي ابتعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم.
5. إن الإسلام هو دين الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.
6. إن تجميد النصوص الإسلامية والتعصب المذهبي والتقليد الأعمى، كل ذلك يسيء إلى الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.
7. إن سماحة الإسلام وأخلاقه لا تسمح للمسلم بأن يذل نفسه لأعداء الله تعالى.
8. إن وسطية الإسلام لا تعني المرحلة الوسط بين الجيد والرديء، بل هي اختيار الفضائل من كل شيء، كالشجاعة وسط بين الجبن والتهور.

التوصيات:

1. يوصى بتفعيل موضوع هذا البحث من خلال كتب الثقافة الإسلامية التي تدرس بالجامعات والكليات.

2. يوصى بعقد المؤتمرات والندوات والدورات المستمرة المتعلقة بهـــذا الموضوع.

3. العمل على إيجاد حلول لمشكلة التعصب المذ هبي الذي يورث ا لحقد والضغينة في قلوب المسلمين.

المراجع:

الأصبهاني،أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العابس بن أحمد ، 1414هـ - 1994م، ت 385هـ، **المحيط في اللغة**، تحقيق:محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، ط1.

الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، 1983م، كتاب**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** ، دار مكتبة الحياة(د.ط).

الأصفهاني،أبي القاسم الحسين بن محمد، (د،ت)، ت 502، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت لبنان.

الألمعي، زاهر بن عوض ، 1400هـ **منهاج الجدل في القرآن الكريم**،رسالة دكتوراه جامعة الازهر، ط2،.

الألوسي،شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي 1414هـ /1994م ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، (د، ط).

الأميري، عمر بهاء الدين، 1406هـ - 1986م، **وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري**، دار الثقافة، ط1.

الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، 1412هـ /1992م، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، (د.ط).

الايجي،عضد الدين عبد الرحمن بن احمد، 1997، **كتاب المواقف**، دار الجيل ـ بيروت، ط1.

البخاري، الأمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي 1997، ت194 ـ256، **الجامع الصحيح المسند المختصر(صحيح البخاري)**،دار السلام، الرياض، ط1.

البخاري،الأمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي 1989م، ت194 ـ256، **الأدب المفرد**، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط3.

البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر 1415هـ/ 1995م المتوفى 885هـ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، ط1.

البيضاوي، ناصر الدين، أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، 1416هـ / 1996، ت791هـ، **تفسير البيضاوي** المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، (د.ط).

البيهقي،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر 1344 هـ (ت:458هـ)، **السنن الكبرى**، مجلس دائرة المعارف، ط1.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر 1423 هـ /2003م، (ت 140هـ، 1983هـ)،**شعب الإيمان** ، مكتبة الرشد، الرياض،ط1.

البيهقي، احمد بن الحسين، (د،ت)**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** ، عالم الكتب، بيروت، ط1،

الترمذي، الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى،(د،ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،(د،ط).

الجربوع عبد الله بن عبد الرحمن المنصور ، 1414/4/4هـ، **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف ،(د،ت)، **كتاب التعريفات**، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد.

الجزري، أبي الحسن علي بن محمد، 1409هـ/ 1989، (ت630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الفكر، بيروت.

الجليند، محمد السيد ، 1409هـ /1988م، **درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني**، مؤسسة الأهرام، ط1.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، 1990م،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**،دار العلم للملايين،ط4.

الحاكم، محمد بن عبد الله أبي عبد الله ،(د،ت)، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية، ط1.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل ، 1988م، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4.

حماد، إبراهيم، 1421هـ / 2000م، **التطرف الفكري بشقيه ووسطية الإسلام** ، دار الفكر العربي، ط1.

الحمصي، أحمد فائز ، 1415هـ - 1995م، **قصص الرحمن في ظلال القرآن** ، مؤسسة الرسالة، ط1.

حوى، سعيد، 1428هـ/2007م، **الإسلام**، دار السلام،القاهرة، ط6.

الحوفي، أحمد محمد، **سماحة الإسلام**، 1420هـ/1999م، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ،(د.ط).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1416هـ/ 1996م، **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم، دمشق، ط2.

الخالدي، محمود، 1984م، 1985م، **التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية**، بحث مقدم إلى مؤتمر رفع إنتاجية الإنسان المصري ، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، ط1، عمان – الأردن.

الخالدي، محمود، 1404هـ / 1984م، **مفهوم الاقتصاد في الإسلام** ، دار الجيل- بيروت، ط1.

الخطيب، عبد الكريم،(د،ت)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر، (د،ط).

خليل، عماد الدين، 1413 هـ/ 1992م، **حول تشكيل العقل المسلم** ، الدار العالمية للكتب الإسلامية، ط5.

الخولي، جمعة،(د،ت)، **أضواء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة** ، دار العلم،(د،ط).

الدريني، فتحي،(د،ت)، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر** ، دار قتيبة، ط1.

الدسوقي فاروق احمد، 1982م، **حرية الإنسان في الفكر الإسلامي**، دار الدعوة، (د،ط).

الدينوري، أحمد بن مروان، أبو بكر، ،(د،ت)، ت:333هـ، **المجالسة وجواهر العلم**، دار ابن حزم،(د،ط).

الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، 1417هـ/ 1996م، ت 748، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، ط11.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، 1415هـ / 1995م، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط).

الرازي الإمام محمد بن عمر ، 1415هـ /1995م، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر،(د،ط).

ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، 1422**فتح الباري**، دار ابن الجوزي، ط2.

رضا، محمد رشيد ، (د،ت)**تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** ، دار الفكر، ط2.

الرعود،عبد بن عيد بن سليمان ، 1998م، **حرية الفكر دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي والديمقراطية الغربية**، رسالة دكتوراة جامعة أم درمان السودان.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي فيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، 1414هـ/1994**تاج العروس من جواهر القاموس** ، دار الفكر،(د،ط).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، 2002م، ت 1396هـ،**الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15.

زلوم، عبد القديم، 1410هـ / 1990م، **كيف هدمت الخلافة**، ط3.

الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، 1397هـ/ 1977م، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر،ط1.

أبو زهرة، محمد، 1418هـ/ 1998**المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي، (د،ط).

أبو زيد، نايل ممدوح، 1994م/1995م، **الأمن في رحـــاب القـــرآن رســـالة دكتوراه،** جامعة أم درمان الإسلامية، .

سابق، سيد، **إسلامنا،** 1402هـــ /1982م، دار الفكر، بيروت، ط2.

السباتين، نجاح يو سف السباتين، 2004م**مفـــاهيم النهـــضة الإســـلامية** ، دار الإسراء للنشر والتوزيع، ط1.

السجستاني، سليمان بنالأشعث أبـــي داوود، (د،ت)**ســـنن أبـــي داوود** ، دار الفكر ،(د،ط).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر 1419هـــــ /1998م، ت1376 هـــــ،**تيـــسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** مؤسسة الرسالة،ط1.

الشعراوي، محمد متولي ، **تفسير الشعراوي،** 1411هـــ / 1991م، دار أ خبـــار اليوم،(د،ط).

شلإكاني، محمد بن علي بن محمد ،(د،ت)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،** دار عالم الكتب،(د.ط).

الشيباني الإمام احمد ، 1993م/1414هـــ، **المسند**دار إحياء التراث العربـــي ، ط2.

الصلابي علي محمود، (د،ت)،**الوسطية في القرآن** ، رسالة ماجستير، جامعة ام درمان الاسلامية، السودان، دار المعرفة، (د، ط).

طبارة، عفيف عبد الفتاح، 1380هـــ/1960م، **روح الدين الإســـلامي،** مطبعـــة الجهاد، بيروت، ط4.

الطبري، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير 1415 هـــ /1995، ت 310هـــــ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** دار الفكر،(د. ط).

ابن عاشور، محمـــد الطـــاهر بـــن محمـــد بـــن محمـــد الطـــاهر التونـــسي، 1420هـــ/2000م، ت 1393هـــ،**تفسير التحريـــر والتنـــوير،** مؤســـسة التاريخ العربي، بيروت، ط1.

عاقل فاخر، 1964 م، **اعرف نفسك،** دار العلم، بيروت، ط3.

عاقل فاخر، 1982م، **أساس البحث العلمي في العلوم الـسلوكية** ، دار العلـم للملايين، ط1.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، 1994م، **وفيات الأعيان**، دار صادر – بيروت،ط1.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي،(د،ت)، **الإصـابة فـي تمييز الصحابة**، دار الجيل – بيروت، ط1.

العقاد، عباس محمود،(د،ت)، **التفكر فريضة إسلامية**، دار نهضة مصر،(د،ط).

عمارة، محمد، 1409هـ / 1989م، **الغزو الفكري** وهم أم حقيقـة، ط 1، دار الشروق.

عمارة، محمد، 1418هـ - 1998م،**الإسلام والأمن الاجتماعي** ، دار الشروق، ط1.

العمر، ناصر بن سليمان العمر،**الوسطية في ضوء القرآن** ،متوفر عبر:موقـع الإسلام (www.al-islam.com).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا 1415هـ - 1994م ت 395هـ، **معجم المقاييس في اللغة**، دار الفكر، ط1، تحقيق:شهاب الدين أبوعمرو.

الفرفور،محمد عبد اللطيف ، 1414 هـ /1993، **الوسطية فـي الإسـلام** ، دار النفائس،ط1.

الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب 1415هـ / 1995م ت 817 هـ، **القاموس المحيط**، دار الفكر (د.ط).

القرضاوي، يوسف، 1426هـ/2005م، **من هدي الإسلام فتاوى معاصرة** ، دار القلم، ط5.

القرضاوي، يوسف،1417هـ/1996م،**ملامح المجتمع المسلم الذي ننـشده** ، مؤسسة الرسالة، ط1.

القرضاوي يوسف، 1410هـ/1990م، **الإيمان والحياة**، مكتبة وهبة، ط9.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن خرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين، 1417هــ/1996م، (ت671)، **الجامع لأحكام القـــرآن** ، دار الكتب العلمية، ط5.

القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، **سنن ابـــن ماجـــه** ،(د،ت)، دار الفكـــر – بيروت.

قطب سيد،(د،ت)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط1.

قطب محمد، 1412هــ / 1992م، **جاهلية القـــرن العـــشرين** ، دار الـــشروق، ط12.

قطب محمد ، 1403هــ / 1983م، **شبهات حول الإسلام**، دار الشروق، ط16،

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، 1414هــ/1993م، **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية** ، دار ابن الجـــوزي ، ط1.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، 1409هــ / 1989م ت691ــ751، **الأمثال في القرآن الكريم** ، تحقيـــق ســـعيد محمـــد نمـــر الخطيب، دار المعرفة، ط3.

ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بـــن كثيـــر الدمـــشقي 1406 هــ /1986 م. ت 774 هــ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار المعرفة، ط1.

الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ،/1413 / 1993، **الكليات**، مؤسسة الرسالة، ط2.

الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي الأندلـــسي (د،ت)، ت741ــــــ792، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الفكر(د،ط).

اللويحق، عبدالرحمن بن معلى، 1419هــ / 1998م، **مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر**، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط1،.

محمود، عبد الحليم، 1988، **الإسلام والعقل**، دار المعارف، ط3.

محمود، علي عبد الحليم ، 1417هـ / 1996م، **التربية العقلية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د،ط).

المفتي، محمد مختار ، 1412 /1992**أضواء على الفكر الإسلامي** ، دار الفردوس ط1.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، 1413هـ / 1993م ت711هـ، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط3.

المودودي، أبو الأعلى، 1401هـ /1981م،**الإسلام ومعضلات الاقتصاد** ، مؤسسة الرسالة، (د،ط).

النبهاني، محمد تقي الدين النبهاني، 1964م، **الشخصية الإسلامية**، ج1، ص8، طبعة بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، 1408هـ / 1988م، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكتاب العربي،(د،ط).

النيسابوري،مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين ، (د،ت)، ت206 ـ261،**الجامع الصحيح (صحيح مسلم)**، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة،بيروت،(د،ط).

هارون يحيى، 1424 /2003، **التفكير العميق**، مؤسسة الرسالة، ط1.

ابن هشام،أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، 1416هـ/ 1995م، ت 213، **السيرة النبوية**، مكتبة الإيمان، ط1.

الواحدي، أبو الحسن علي بن احمد النيسابوري، 1415هـ/1994م، ت468هـ، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، دار الكتب العلمية، ط1.

الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، (د،ت)، ت468هـ، **أسباب النزول**، المكتبة الثقافية،بيروت- لبنان، (د،ط).

الملحق (أ)
فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	تخريجه	الصفحة الوارد فيها
1	"تفكروا في آلاء الله........"	البيهقي	10
2	" **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**......."	البخاري	12
3	" إنّ الله لا ينظر إلى أجسادكم......."	مسلم	23
4	" كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..."	البخاري	24
5	" أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ..... "	الترمذي	26
6	" أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"	البخاري	33
7	" **ما ضل قوم بعد هدى....**"	الترمذي	33
8	" **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة.....**"	البخاري	35
9	" **مَا أَحَدٌ عَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ.....**"	الدينوري	38
10	" **إن من أعظم الجهاد....**"	الترمذي	51
11	" إن الناس إذا رأوا الظالم ...."	أحمد	56
12	" يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرّميه"	البخاري	58
13	" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم..."	البخاري	78
14	" إنه سنام الإسلام"	احمد	81
15	" يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ..."	مسلم	81
16	" **خياركم أحاسنكم أخلاقا....**"	الترمذي	84
17	" **الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي....**"	البخاري	84
18	"الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ."	مسلم	85
19	" **إِنِّى لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا....**"	مسلم	86
20	" **يَسِّرَا، وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا....**"	البخاري	86

44	" خيركم من تعلم القرآن وعلمه"	البخاري	104
45	**"سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ.."**	البخاري	104
46	**"لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْن............"**	البخاري	104
47	**"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم..."**	الترمذي	104
48	**" اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...."**	مسلم	105
49	**" لو كان الدين بالرأي...."**	أبو داود	112
50	**" إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ...."**	البخاري	117
51	" ما أظن ذلك يغني شيئا......"	ابن ماجه	117
52	" هلك المتنطعون..."	مسلم	122
53	**" لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ..."**	أبو داود	123
54	**" مهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ..........."**	البخاري	123
55	**" إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ..."**	البخاري	123
56	" كل مسكر خمر............"	مسلم	127

الملحق (ب)

فهرس الأعلام

السيرة الذاتية للباحث:

الاسم: خلدون سعود سلامة القرالة.

الكلية: كلية الشريعة.

التخصص: التفسير وعلوم القرآن.

السنة: 2010م.

العنوان البريدي: الكرك – عي - كثربا.

الهاتف: 0785102306

البريد الالكتروني: khaldoon_g78@yahoo.com